الغائب المنتظر !

أفراح وأحزان

اللهمّ اجعلِ الموتَ خيرَ غائِبٍ نَنتَظِرُه

تأليفـ

الدكتور عبد المجيد البيانوني

دكتوراة في الشريعة وعضو رابطة الأدب الإسلاميّ العالميّة

المشرف العلميّ على موقع الميثاق التربويّ

1426 هـ

الطبعة الأولى 1426

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الإنسان في كلّ مكان ، الذي كتب الله عليه الحياة والموت ، فعرف الحياة ، وتجاهل الموت ، فلم ينفعه التجاهل عن كأس الموت حين يجرعها .. فهل له أن ينظر فيمن ورد الحياض قبله ، فيعدّ لهذا اليوم عدّته **؟!**

أقدّم هذه الرسالة معلماً وذكرى .

فطوبى لمن استعدّ للموت ، وخشي الفوت ، وأسرج مراكب الجِدّ ، وأوقد مراجل العزم ، وأخذ نفسه بالحزم .. فكانَ من السعداء الفائزين .!

بسم الله الرحمن الرحيم

(ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ
ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ
ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ
ﮤ) ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ
(ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮪ ﮫ ﮬ
ﮭ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ) آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

مناجاة لأمير المؤمنين الإمام علي

إلهي ! كَــأنّي بنفسي ، وقد اضــطجعت في حُفرتها ، وانصرف عنها المشيّعون من عشيرتها ، ورحمها المعادي لها في الحياة عند صرعتها ، ولم يخف على النـــاظرين إليها ذلّ فاقتها ، وقـــالت الملائكة : غريب نأى عنه الأقربــون ، وبعيد جفـاه الأهلــون ، وخذله المؤمَّلــون ، نــزل بنا قريبــاً ، فأصبح في اللحد غريبــاً ، وقد كنت في دار الـدنيا داعيــاً ، ورحمتك إيّــاي في هــذا اليــوم رَاجيــاً ، فأحسن ضـــيافتي ، وكن أشـــفقَ عليّ من أهلي وقرابتي ..

اللهمّ يا أنيس كلّ غريب آنس في القبر وحشتي ، وارحم وحدتي ، ويا عالم السرّ والأخفى ، ويا كاشف الضرّ والبلوى ! كيف نظرك لي من بين ساكني الثرى .؟ وكيف صنيعك لي في دار الوحشة والبلى .؟ قد كنت بي لطيفاً في حياتي ، فلا تقطع برّك عنّي بعدَ وفاتي ، يا أفضل المنعمين في آلائه ، وأكرم المتفضّلين في نَعمائه ، كثرت عندي أياديك فعجزت عن إحصائها ، وضقت ذرعاً في شكْري للمسائل بجزائها ، فلك

الحمد على ما أوليت ، ولك الشكر على ما أبليت ، يا خير من دعاه داعٍ ، وأفضل من رجاه راجٍ ، يا حنّانُ يا منّانُ ! يا ذا الجلال والإكرام ! يا حيّ يا قيّوم ! يا من له الخَلقُ والأمر ! تباركتَ يا أحسنَ الخالقين ! يا رحيمُ يا غفور ! يا قديرُ يا كريمُ ! " .

وصلّى الله على سيّدنا محمَّد النبيّ الأمّيّ الطاهر الزكيّ ، وعلى آله وصَحبه وسلّمَ .

□□ □ □

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمـــداً لا يبلى جديـــده ، ولا يُحصى عديـــدُه ، ولا يُبلـــغُ حـــدوده ، اللهمّ اجعل الموت خـيرَ غـائب ننتظـره ، واجعل القـبرَ خـير بيتٍ نعمـرُه ، واجعـل مـا بعـده خيراً لنا منه .

اللهمّ ارحم عبـــــداً أنِسَ بـــــذكرك ، واغــرورقت عينــاه دموعــاً من خشــيتك ، فــاغفر الزلّــةَ ، وعُد بحلمك الكــريم على جهل من لم يرجُ غيرَك .

الحمد لله القائل فى كتابه المبين : {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾} آل عمران .

والقائل ســـبحانه : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ } آل عمران .

والقائل عــزّ وجــلّ : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ } الحشر .

والصــلاة والســلام على ســيّدنا ونبيّنا محمّد القائل : (.. **أَكْثِـــرُوا مِنْ ذِكْـــرِ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ المَوْتِ** ..) [1] ، وعلى آله وأصـــحابه والتـــابعين ، ومن تَبع ســـنّته ، واهتَدى بهديه إلى يَوم الدين ، وبَعد ؛

فما أخطر الغفلة عَلى الإنســـان ! وما أضــــــــــرّهَا على دينه وعقيدته ، وآخرته ومصـــيره ! وأنفاسه في هـــذه الحيـــاة معــدودة ، والأمل يخدعه ، والأجل يرقبُه ، والقــبرُ ينتظــرُه ، وهو يلهو ويلعبُ ، ويعصي ربَّه ، ويظلم نفسَه ، وغير ذلك له أجــدى ، وبه أولى ..

يدفن أقرب النـاس إليه ، فيحـزن على فراقه ساعات أو أيّاماً ، ثمّ يعـود إلى عبثه ولهـــوه ، ولا يحـــزن على نفسه أنّ هـــذا

1(?) جزء من حديث طويل سيأتي بتمامه مع تخريجه .

مصــيره .. وأنّه عمّا قَــريب سيُشــيّع إلى مثـواه ، ويـدخلُ القـبر ليس معه سـوى ما قدّم من عمل .!

نُح على نفسِــــك يا مِســــكينُ إن كُنتَ تنــــوحُ
لتَمُوتَنّ وإن عُمّرتَ ما عُمّر نُوحُ

ورُبّما دخل المقبرة سـاهياً لاهيـاً ، ذكر الدنيا لا يفارِق لسانه ، وهمّها يُسكر وجدانه ، ما كان له أن يدخُلَها لولا حقّ قريبه الذي يُشيّعه ..

فــإلى مــتى .؟! أيّ غفلة عن المــوت أعظم من هذه الغفلة .؟!

وكأنّي بــأبي العلاء المعــرّيّ يَهمِسُ في أذن أمثال هَؤلاء :

صَاحِ هذي قبورنا تملأ الرحبَ فأين القبور مِن عَهدِ عَادِ ؟
خفّفِ الوطءَ مَا أظنُّ أديــ ـمَ الأرض إلاّ مِن هذهِ الأجسادِ
رُبّ لحدٍ قد صَار لحداً مِراراً ضاحكٍ مِن تَزاحُمِ الأضدادِ

وربّما بكى على قريبه الذي يشيّعه ، لا يبكى في الحقيقة إلاّ أســـفاً عَلى ضـــياع حـــظّ عاجل ، أو شـــباب آفل ، ولم يتفكّر في الموت وما بعد الموت ، ولأمثال هؤلاء يقول الشاعر :

على نفسه فليبكـ من ضاع عمره   وليس له فيها نصيبٌ ولا سهمُ

لقـــد كتب لنا الصـــالحون من الســـلف مواعظ المـــوت بـــأحوالهم وأعمـــالهم ، وصدقهم وإخلاصهم ، واجتهادهم وجدّهم ، ونصحهم وإشفاقهم .. فهل من معتبر .؟!

ولا نريد أن تكــون هــذه المواعظ دمعة جزعٍ لا ينفع ، أو دمعة عينٍ باردة ، سرعان ما تجــفّ ، ويجــفّ معها كــلّ خــير ، وتعــود النفس إلى غفلتها ولهوها ، وقســـــــــوتها ومعاصـــيها .. إنّما نريـــدها عملاً مثمـــراً ، وتحوّلاً بنّـاءً ، يجعل المــؤمن يتّخذ إلى ربّه سبيلاً ، ويريد الآخرة ، ويسعى لها سعيها ،

ولا يبرح ذكر الموت فكـره ، لأنّه يـوقن أنّه قد يأتيه في أيّ ساعةٍ من ليل أو نهار ..

وبعد ؛ فهذه موعظة عاجلـة ، ورسـائل مـوجزة بيّنـة عن الحقّ الذي يكـره ذكـره أكـثر الناس ، ولابـدّ لهم من ورود حياضه ، وتجرّع مـرارة كأسـه ، ولو نجا منـه أحـد لكان أحقّ الناس بذلك أنبياء الله ورسـله : { وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَـةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ } الأنبيـاء . وقـد جمعت فيها بعض ما وصل إليّ من أخبار وفاة بعض النـاس ، ممّـا فيه عظـة للأحيـاء وعـبرة ، وذكـرى لنفسـي ولمن ضـربت على قلـوبهم سنة الغفلة .

والله تعالى أسأل ، وبأسمائه الحسـنى وصـفاته العلى أتوسّـل أن يجعل المـوت خيرَ غائب ننتظره ، وما بعده خـيراً لنا منه ، ويقبل بقلوبنا إليه ، ويجعل اعتمادنا عليه ، ويجعَل خَـيرَ عُمُرنا آخِـرَه ، وخَـيرَ عَمَلِنا

خَواتمَه ، وأن يحبّبَ إلينا لقــاءه ، ويجعــلَ خَـيرَ أيّامِنا يَـومَ نلقَاه وهو رَاضٍ عَنّـا ، وأن ينفع بهـــذه الرســـالة عباده ، ويجعلها من خير الأجر والذخر .

وصـلّى الله وسـلّم وبـاركَ على عبـده ونبيّه ســــيّدنا محمّد ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ، والحمد لله ربّ العالمين .

جدّة في 27/2/1426 هـ

وكتبه

د. عبد المجيد البيانوني

□□ □ □

واحزناه عليك أيّها الإنسان .!

واحزنـاه عليك أيّها الإنسـان المغـرور بالأمـاني .! الكـادح في متاهـات الـدنيا ، تطلب المزيد من كلّ شيء ، ولا تعلم أنّك كـــادح إلى ربّك كـــدحاً فملاقيه .. مـــاذا أعددتَ لنفسك .؟ يوم تسقط على الأرض ، فما تستطيع القيام ، فتحمل بين الأيدي ، قد فـارقت الحيـاة الـدنيا بغتة ، وجـاءك الموعد المحتـوم .. فـإذا جـاء أجلهم فلا يستقدمون ساعةً ، ولا يستأخرون ..

واحزنـــاه عليك ! والأمل الكـــاذب ! والأماني الخلّب ! تتجدّد في نفسك مع كلّ صـباح ومسـاء ، وتمتـدّ أمـام ناظريك ، وتتكاثف سحبها على عقلك وناظريك ، فلا ترى سـواها ، ولا تفكّر إلاّ فيها ، ولا تنطق بغير الحديث عنها ، ولا تصـغي سـمعك إلاّ لمن يدغدغ مشاعرك نحوها ..

واحزنــــــــــاه عليك ! وهي كلّما لهثت وراءها تباعــدت منك ، وكلّما اقــتربت منها نــأت عنك ، وكلّما ظننت أنّها أصــبحت بين يــديك ، قبضت عليها بكلتا يــديك ، فــإذا أنت تقبض على السراب ..

ألم تر قوافل المـوت تمضي ، في كـلّ بقعة من بقـــاع الأرض .. ألم تســـمع كعب بن زهير يهمس في أذنك مذكّراً :

كلّ ابن أنثى وإن طالت سلامته
يوماً على آلة حدباء محمولُ

تمضي الجنـــائز إثر الجنـــائز .... تحمل الوليد واليافع ، والشيخ والعجوز ، والشيب والشــباب ، والأغنيــاء والفقــراء ، والعامّة والأمــراء ، والملــوك والرءســاء وكــلّ ذي روح ، تحمل من لم يفكّر بــالموت لحظة ، ومن كان هــاجس المـوت لا يــبرح تفكـيره وذكره .. تحمل الصبيّ الصـغير ، الـذي لم يكد يسمع عن الموت شـيئاً .. ومن سـقى

الناس كئوس الموت وحمامه ، وكأنّه كـان يظنّ نفسه بمنجاة عن هوله وحياضه ..

ألم تسـمع عن المـوت يقتحم القصـور المشيدة ، والحصون المنيعة .؟!

وقد نأى أهلها بأنفسهم عن كلّ أسـبابه ، وأتـرعت أنفسـهم من موائد الشـهوات ، وســكروا حتّى ثملــوا بكئــوس الأهــواء والترّهات ..

فهل نفعهم ذلك وأنجـــــاهم .؟ وهل أخّر عنهم كـأس المـوت وحابـاهم .؟! إنّه يـأتي بقدر الله المعلوم المحتوم .. فلا نجاة لهم منه ولا مفرّ ..

يقول الشاعر الجاهليّ :

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب   تمته

ومن تخطئ يعمّر فيهرمِ .

وإذا كـان هـذا الشـاعر الجـاهليّ يـرى المنايا خبط عشـواء ، فـإنّ المـؤمن يراها أقــــداراً إلهيّة حكيمة ، لا يـــــدركها عقل الإنسـان القاصر ، وقد كـان من رحمة الله

بعبـاده أن أنـذرهم أنّ المـوت يـأتي بغتة ، وأنّ الأجل إذا جاء فلا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون ..

واعلم أنّ الناس في ذكر الموت على ثلاثة أقسام :

1 - إمّا منهمك بالدنيا ، ولا تخطر له الآخرة على بال .

2 - وإمّا تائب مبتدئ ، يجاهد نفسه على التقوى والعمل للآخرة .

3 - وإمّا عارف بالله من أهل التّقوى زهدت نفسه في الدنيا ، وتاقت إلى الآخرة

فأمّا المنهمك بالدنيا ، فلا يذكر الموت بحال ، وإن ذكره فإنّه يذكره آسفاً على الدنيا ، حزيناً على فراقها . وهذا على خطر عظيم ، إذ لا يزيده ذكر الموت من الله تعالى إلاّ بعداً .

وأمّا التائب المبتدئ ، فإنّه يكثر من ذكر الموت ، لينبعث من قلبه الخوف والخشية ، فيفي بتمام التوبة ، وربما يكره

الموت خوفاً من أن يختطفه قبل تمام التوبة ، وقبل إصلاح الزاد إلى الآخرة ، وهو معذور بكراهية الموت لهذا السبب .

وعلامته أن يكون دائم الاستعداد له ، لا يشغله عنه من الدنيا شاغل .

وأمّا العارف بالله ، فإنه يذكر الموت دائماً ، لأنّه موعد لقاء الله تبارك تعالى ، وهو يحبّه ، والمحبّ ينتظر لقاء الحبيب .

وهذا على الغالب يستبطئ مجيء الموت ، ويحبّ مجيئه ليتخلّص من سجن الدنيا ، وينتقل إلى جوار ربّه الكريم .

فما الجدير بالعاقل .؟ ما أجدر الإنسان العاقل، الذي يطوي حياته صحيفةً صحيفةً ، ويقتلع عمره بيده من التقويم السنوي ورقةً ورقةً ، ويرى بعينه مراحل العمر تمضي مرحلةً مرحلةً ، وينتقل من طفولة إلى شباب ، ثم إلى كهولة ، فشيخوخة وهرم ، هرمٍ ليس بعده إلاّ الموت ..

أقول : ما أجدر هذا الإنسان إذا كان عاقلاً ، أن يفكّر فيما بعد الموت ، ويستعدّ بالإيمان والعمل الصالح ، لحياة الخلود في النعيم ، ويعمل للنجاة من الخلود في عذاب الجحيم !!

مقارنة : لو قارنا بين رجلين : أحدهما مؤمن بالله واليوم الآخر مستعد له ، والآخر جاحد بالله ، كافر باليوم الآخر ، لرأينا الفرق بينهما شاسعاً .

فالمؤمن بالله واليوم الآخر كلما ذكر الموت والآخرة ، تحرّك قلبه بالرجاء ، آملاً أن يكون في الآخرة من السعداء ، ومن أهل النعيم الخالد فيها .. فهو سعيد في نفسه ، مطمئن في حياته ، مهما قاسى من الشدائد والصعاب ، والآلام والأسقام ، ومهما لاقى في شيخوخته وهرمه ، من ضعف ووهن ، فهو يودع هذه الحياة راضياً ، هانئ النفس ، فرحاً بلقاء الله ، منتظراً ثواب الله ..

فأيّ سعادة أعظم من هذه السعادة ؟!

وأمّا الملحد بالله ، الكافر باليوم الآخر ، فإنّه يتقلّب في شدائد الحياة وصعوباتها ، وآلامها وأسقامها كما يتقلب الحيوان الأعجم ، لا يعرف سبباً لوجوده ، ولا يرجو ثواباً لعمله ، ويدركه ضعف الشيخوخة ، ووهن الهرم ، فلا يجد لذة في مأكل ولا مشرب ، ولا في متعة من متع الحياة ، ثم هو إذا عاين الموت ، فارق هذه الحياة كئيباً حزيناً ، لا يرى أنّه صائر بعد موته إلاّ إلى جيفة كما يصير الحمار .. فأيّ شقاء أشدّ من هذا الشقاء ؟! [1] .

(1) انظر الإيمـان بـاليوم الآخر للشـيخ أحمد عـزّ الـدين البيانوني ص/29/ وما بعد باختصار وتصرّف .

التصوّر القرآنيّ عن الموت والحياة

الـمـوت في تصـوّر المؤمن ليس نهايـة وجود الإنسان ، وإنّمـا هـو رحلة من الـدنيا الفانية إلى الآخـرة الباقيـة ، ولقـد عرضـه القرآن الكريم على المؤمنين عرضاً مُحبّباً ، بمقتَضـــى إيمـــانهم بـــالآخرة ، ويقينهم بأخبارهـــا ، مـــع ما يظهـــر من شـــدّته ومرارته ، ونفرة الإنسان عنه بطبعه ، ممّا جعلهُم يَأنسون بـه ، ويرتـاحون إليـه : فهو نهاية الحياة القصيرة الفانية ، حيـاة الكـدر والابتلاءات ، والغصـــص والآلام ، وبدايـــة الحيـاة السـعيدة المطمئنّـة ، الخالـدة في النعيم المقيم ، والعـزّ والتكـريم في مقعـد صـــدق عنـــد مليـــك مقتـــدر ، فيما لا عين رأت ، ولا أذُنٌ ســـــمعت ، ولا خطر على قلب بشر ..

وهو قدر محتوم ، لا يتقـدّم ولا يتـأخّر ، ولا منجى منـه ولا مفـرّ ، فـإذا كـان أمـره

كذلك فحـريّ بـالمؤمن أن يكـون مسـتعدّاً للقائه في كلّ وقت ، وأن يعلم أنّ ما بعده من مَغفـــرة الله وقربه ، وجنّته ورضـــوانه خير له من هذه الـدنيَا وحظوظها الفانيـة ، ممّا يـــوجب على المـــؤمن أن لا يتقبّـــل الموت عند نزولـــه فحســـب ، بـــل يطلب الموت في مظانّه ، التي هي مواطن يحبّها اللـه تعـالى ، ويرضـى عن العبد بهَا ، كمـا عبّر عن ذلك عمير بن الحمـام الأنصـاريّ عندما قال :

ركضاً إلى الله بغير زادِ إلاّ التقى وعمل المعادِ

والصبر في الله على الجهادِ وكلّ زادٍ عرضة النفادِ

إلاّ التقى والبرّ والرشادِ

ولقد تغلغلت هذه الحقائق في نفــوس الصـحب الكـرام ، ومن تبعهم بإحسـان ، فأحبّوا الموت في سبيل الله تعـالى ، كمـا أحبّ عدوّهم الحياة ، وطلبوه في مظانّـه ،

وعرف عنهم ذلك عدوّهم فهابهم ، وخشي لقــاءهم ، فــوهبت لهم الحيــاة الكريمــة ، وكانوا سادة الأمم ، وقادتها إلى كلّ خير .. في الوقت الذي نرَى القرآن الكــريم يعيب على اليهــود ، وهم يــدّعون أنّهم أبنــاء الله وأحبّاؤه ، وأنّ الآخرة خالصــة لهم من دون الناس .. يعيب عليهم القرآن الكريم شــدّة تعلّقهم بالحيــاة الــدنيا ، وحرصــهم على أي نوعٍ منها ، ولــو كــانت ذليلــةً مهينــة ، شــأن المــادّيّين الــذين لا يعرفــون الآخــرة ، ولا يؤمنــون بها : { قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ } البقرة .

هــــذا ونلخّص أهمّ الحقائق القرآنيّة عن الموت في النقاط التالية :

1 ـ المــوت نقلــة من هــذه الــدار ، ومرحلة من مراحل الحيــاة ، وليْس نهَايــةً لها .

2 ـ الموت والحياة بقدر الله المحتّم ، الــذي لا يتقــدّم ولا يتــأخّر ، وهو من الغيب الذي لا يعلمه إلاّ الله تعالى .

3 ـ ما عنــدَ الله تعـالى خَـير للمـؤمن التقيّ وأبقى من الدنيا وما فيها .

4 ـ الــــدنيا دَار ابتلاء ومحن ، وهيَ مَزرعة الآخــرة ، والآخــرة دار الحســاب والجزاء .

5 ـ المؤمن يضَحّي برغباته وبحياته في سبيل الفوز في الآخرة بمرضاة ربّه .

6 ـ لا أحـــدَ يعلم بم يختم له ، ولكنّ البداية الحســنة ، والاســتقامة على الخــير تبشّر المؤمن بالخاتمة الطيّبة بإذن الله .

7 ـ الذينَ لا يؤمنون بالآخرة لا همّ لهم إلاّ الدنيا وشهواتها .

8 ـ ويحرصونَ على الحيـاة ولو كـانت في مستنقع الذلّ والهوان .

9 ـ المـؤمن التقيّ يحيـا حياة طيّبـة ، ويموت ميتة طيّبة بإذن الله تعالى .

10 ـ الإيمـان بالحساب والجـزاء في الآخرة خير مـا يضـبط سلوك الإنسـان ، ويفرض عليه الالتزام بحدوده .

* من مواعظ الصحف الأولى :

عن أَبِي ذرٍّ قـال : قلت : يا رسـول الله ! ما كانت صحف إبراهيم عليه السلام ؟

قـال : (كـانت أمثـالاً كلّها : أيّها الملك المسـلّط المبتلى المغـرور ! إنّي لم أبعثك لتجمع الـدنيا بعضـها على بعض ، ولكنّي بعثتك لتردّ عنّي دعوة المظلـوم ، فـإنّي لا أردّها ، ولو كانت من كافر .

وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبـاً على عقله أن تكون له ساعات : سـاعة ينـاجي ربّه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وسـاعة يتفكّر فيها في صـنع الله ، وسـاعة يخلو فيها لحاجته من المأكل والمشرب.

وعلى العاقل ألاّ يكون ظاعناً إلاّ لثلاث : تـزوّد لمعـاد ، أو مرمّة لمعـاش ، أو لـذّة في غير محرّم .

وعلى العاقل أن يكون بصـيراً بزمانه ، مقبلاً على شـأنه ، حافظـاً للسـانه ، ومن حسب كلامه من عمله قــلّ كلامه إلاّ فيما يعنيه) .

قلت : يا رســـول الله ! فما كــــانت صــحف موسى عليه الســلام ؟ قـــال : (كــــانت عـــبراً كلّها : عجبت لمن أيقن بـالموت ، ثمّ هو يفـرح ! عجبت لمن أيقن بالنــار ، ثمّ هو يضـحك ! عجبت لمن أيقن بالقــــدر ثمّ هو ينصب ! عجبت لمن رأى الـــدنيا ، وتقلّبها بأهلها ثمّ اطمـــأنّ إليها ! عجبت لمن أيقن بالحسـاب غـداً ثمّ هو لا يعمل .! قلت : يا رســول الله أوصـــني ! قـــال : أوصـــيك بتقـــوى الله ، فإنّها رأس الأمر كلّه .

قلت : يا رســول الله زدني ! قـــال : عليك بتلاوة القـــرآن ، فإنّه نــــور لك في

الأرض وذكر لك في الســــماء . قلت : يا رســول الله زدني ! قــال : إيّــاك وكــثرة الضحك ، فإنّه يميت القلب ، ويَذهب بنــور الوجه . قلت : يا رسول الله زدني ! قال : عليك بالصمت إلاّ من خـير ، فإنّه مطـردة للشيطان عنك ، وعــون لك على أمر دينك . قلت : يا رســول الله زدني ! قــال : عليك بالجهـــاد ، فإنّه رهبانيّة أمّـــتي . قلت : يا رسول الله زدني ! قـال : أحبّ المسـاكين وجالســهم . قلت : يا رســول الله زدني ! قـــال : انظر إلى من هو دونك ، ولا تنظر إلى من هو فوقك ، فإنّه أجــدر ألاّ تــزدري نعمة الله عليك . قلت : يا رســــول الله زدني ! قــال : قل الحــقّ ولو كــان مــرّاً . قلت : يا رسول الله زدني ! قـال : لـيردّك عن النـــاس ما تعلمه من نفسك ، ولا تجد عليهم فيما تــــأتي ، وكفى بك عيبــــاً أن تعــرف من النــاس ما تجهله من نفسك ، وتجد عليهم فيما تــأتي . ثمّ ضــرب بيــده على صــدري ، فقـــال : (يا أبا ذرّ لا عقل

كالتدبير ، ولا ورع كالكفّ ، ولا حسب كحسن الخلق) [1] .

* موعظة النبيّ بالموت

دَخَلَ رَسُولُ اللهِ مُصَلاَّهُ فَرَأَى نَاسًا كَأَنَّهُمْ يَكْتَشِرُونَ ـ أي : يضحكون وتظهر أسنانهم من الضحك - قَالَ : أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ أَكْثَرْتُمْ ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ - يعني الموت - لَشَغَلَكُمْ عَمَّا أَرَى ، فَأَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ المَوْتِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى الْقَبْرِ يَوْمٌ إِلاّ تَكَلَّمَ فِيهِ ، فَيَقُولُ : أَنَا بَيْتُ الْغُرْبَةِ ، وَأَنَا بَيْتُ الْوَحْدَةِ ، وَأَنَا بَيْتُ التُّرَابِ ، وَأَنَا بَيْتُ الدُّودِ ، فَإِذَا دُفِنَ الْعَبْدُ المُؤْمِنُ ، قَالَ لَهُ الْقَبْرُ : مَرْحَباً وَأَهْلاً ، أَمَا إِنْ كُنْتَ لأَحَبَّ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيَّ ، فَإِذْ وُلِّيتُكَ الْيَوْمَ ، وَصِرْتَ إِلَيَّ ، فَسَتَرَى صَنِيعِيَ بِكَ ، قَالَ : فَيَتَّسِعُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الجَنَّةِ ، وَإِذَا دُفِنَ الْعَبْدُ الْفَاجِرُ أَوِ الْكَافِرُ ، قَالَ لَهُ الْقَبْرُ : لا مَرْحَباً وَلا أَهْلاً ،

1(?) ـ رواه المنذريّ في الترغيب والترهيب ، وقال : رواه ابن حبّان في صحيحه ، واللفظ له والحاكم .

أَمَا إِنْ كُنْتَ لأَبْغَضَ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيَّ ، فَإِذْ وُلِّيتُكَ الْيَوْمَ ، وَصِرْتَ إِلَيَّ ، فَسَتَرَى صَنِيعِيَ بِكَ ، قَالَ : فَيَلْتَئِمُ عَلَيْهِ حَتَّى يَلْتَقِيَ عَلَيْهِ ، وَتَخْتَلِفَ أَضْلاعُهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ بِأَصَابِعِهِ ـ أي أشار بها - فَأَدْخَلَ بَعْضَهَا فِي جَوْفِ بَعْضٍ ، قَالَ : وَيُقَيِّضُ اللهُ لَهُ سَبْعِينَ تِنِّينًا ـ أي : ثعباناً - لَوْ أَنْ وَاحِدًا مِنْهَا نَفَخَ فِي الأَرْضِ مَا أَنْبَتَتْ شَيْئاً مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا ، فَيَنْهَشْنَهُ ، وَيَخْدِشْنَهُ حَتَّى يُفْضَى بِهِ إِلَى الحِسَابِ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ : (إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ) [1] .

* من مواعظ السلف بالموت

وجاء في وصيّة أبي بكـر الصـدّيق قبل وفاته لعمر رضي الله عنهما :

---

[1] رواه الترمذي في كتاب 2384 ثم قال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

" ... أما إن حفظت وصـيتي لم يكن غـائب أحب إليك من المـوت ، وأنت لا بد لاقيه ، وإن أنت ضـيعت وصـيتي لم يكن غائب أبغض إليك من المـوت ولا تعجـزه .. " [1] .

وعن ربيع بن خيثم رحمه الله قـال : " ما غائب ينتظره المؤمن خير من الموت " [2] .

ويقول أويس بن عـامر القـرنيّ : " يا أهل الكوفة ! توسّـدوا المـوت إذا نمتم ، واجعلوه نصب أعينكم إذا قمتم " .

كان الربيع بن خـثيم يقـول : " أكـثروا ذكر هـذا المـوت ، الـذي لم تـذوقوا قبله مثله " ، وحفر لنفسه قـبراً ، وأخذ يـنزل فيه كـلّ يـومٍ ويتمـدّد ، ثمّ يقـوم ويعظ الناس بما يرقّق قلوبهم .

---

[1] ـ سنن سعيد بن منصور 5/132 ــ 134/ تفسير سـورة الأعراف وهو في مصنف ابن أبي شيبة 7 /92/ .

[2] ـ مصـنف ابن أبي شـيبة 7/145/ كلام ربيع بن خيثم / 34840/ .

ويقـول سـعيد بن جبـير : " لو فـارق ذكر المـوت قلـبي لخشـيت أن يفسد عليّ قلبي " .

ووعظ النــاس عمر بن ذرّ فقــال : " أمّا الموت فقد شهر لكم ، فـأنتم تنظـرون إليه في كـلّ يـومٍ وليلـةٍ ، من بين منقـول عزيز على أهله ، كــــريم في عشـــيرته ، مطــــاع في قومه ، إلى حفـــرة يابسة ، وأحجارٍ صـمّ ، ليس يقـدر له الأهلـون على وســاد إلاّ خالطه فيه الهــوامّ ، فوســاده يومئذٍ عمله ، ومن بين مغموم غـريب ، قد كـثر في الـدنيا همّه ، وطـال فيها سـعيه ، وتعب فيها بدنه ، جاءه الموت قبل أن ينال بغيته ، فأخذه بغتة ، ومن بين صـبيّ مرضع ، ومـــريضٍ موجع ، ورهنٍ بالشـــرّ مولع ، وكلّهم بسهم الموت يقرع " .

وقــال عـــون بن عبد الله بن عتبة بن مســعود : " كم من مســتقبل يومــاً لا يســـتكمله ، ومنتظـــرٍ غـــداً لا يبلغه ، لو

تنظرون إلى الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره " .

وقال أحد تلامـذة سـفيان الثـوريّ : " ما جلست مع ســـفيان مجلســـاً إلاّ ذكر الموت ، وما رأيت أحداً أكثر ذكراً للمــوت منه " .

ووعظ النـــــاس عمر بن عبد العزيز فقال : " قبـور خـرّقت الأكفـان ، ومـزّقت الأبــدان ، ومصّــت الــدم ، وأكلت اللحم .. تـــرى ما صــنعت بهم الديــدان .؟! محت الألوان ، وعفّرت الوجوه ، وكسرت القفار ، وأبانت الأعضاء ، ومزّقت الأشلاء ..

تــرى أليس الليل والنهـار عليهم ســواء .؟! أليسوا في مدلهمّة ظلماء .؟!

كم من نـاعم وناعمة أصـبحوا وجـوههم بالية ، وأجســادهم عن أعنــاقهم نائية ، قد ســالت الحــدق على الوجنــات ، وامتلأت الأفواه دماً وصديداً ، ثمّ لم يلبثوا والله إلاّ يسيراً ، حتّى عادت العظام رميماً .

قد فارقوا الحدائق ، فصاروا بعد السعة إلى المضائق .

يا ساكن القبر غداً ! ما الذي غـرّك من الدنيا .؟! أين دارك الفيحاء .؟! وأين رقـاق ثيابك .؟! ليت شـعري كيف ستصـبر على خشونة الـثرى .؟! وبـأيّ خـديّك يبـدأ البلى .؟! " .

وعلا صوت الحسن البصـريّ رحمه الله ، وهو يعظ النـاس ويقـول " المبـادرة المبـادرة ! فإنّما هي الأنفـاس ، لو حبست لانقطعت عنكم أعمـالكم ، إنّكم أصـبحتم في أجل منقـوص ، والعمل محفـوظ ، والمـوت والله في رقـابكم ، والنـار بين أيديكم ، فتوقّعوا قضـاء الله عـزّ وجـلّ في كلّ يوم وليلة .

لقد فضح الموت الدنيا ، فلم يترك لذي لبّ فرحاً .

وإنّ أمراً هذا الموت أخـره ، لحقيق أن يزهد في أوّله ، وإنّ أمراً هذا المـوت أوّله ، لحقيق أن يخاف أخره " .

ويقـول أيضـاً : " إنّك والله لأن تصـحب أقواماً يخوّفونك حتّى تدرك أمناً ، خـير لك من أن تصـــحب أقوامـــاً يؤمّنونك حتّى تلحقك المخاوف " .

قـــال الحسن بن عبد العزيز الجـــرويّ شـــيخ الإمـــام البخـــاريّ : " من لم يردعه القرآن والموت ، فلو تناطحت الجبـال بين يديه لم يرتدع " .

قال بعض الشعراء :

يا ربّ عبدك قد أتا ك وقد أساء وقد هفا

يكفيه منك حياؤه من سوء ما قد أسلفا

حمل الذنوب على الذنو بِ الموبقات وأسرفا

وقد استجار بذيل عَفـ وك من عقابك ملحفا

يا ربّ فاعفُ وعافه فلأنت أولى من عفا

وقال آخر :

أنا في القبر رهين قد تخلّى الأهل عنّي

بذنوبي أسلموني خبت إن لم تعف عنّي

فارحم اليوم مشيبي وارحم اللهمّ سنّي

وارحم اللهمّ ضعفي لا يخيب اليوم ظنّي

وأوصى أبـــــو العتاهية أن يكتب على قبره :

أذنَ حيّ تسمّعي اسمعي ثمّ عِي وَعِي

أنا رهن بمضجعي فاحذري مثل مصرعي

عشت تسعين حجّةً ثمّ
وافيت مضجعي
ليس شيء سوى التقى فخذي
منه أو دعي
وقال أيضاً :
أنلهو وأيّامنا تذهبُ ونلعبُ والموت
لا يلعبُ
عجبت لذي لعبٍ قد لها عجبت وما
لي لا أعجبُ
أيلهو ويلعبُ مَن نفسُه تموت ومنزله
يخربُ
نرى كلّ ما ساءنا دائماً على كلّ ما
سرّنا يغلبُ
نرى الليل يطلبنا والنهارولم ندرِ أيّهما
أطلبُ
أحاط الجديدان جميعاً بنا فليس لنا
عنهما مهربُ
وكلّ له مدّة تنقضي وكلّ له
أثر يُكتبُ

ويقول الشاعر :
إن تبق تفجع بالأحبّة كلّهم وفناءُ نفسك لا أبا لك أفجعُ
وأقول :
فاربأ بنفسك أن تكون كرملة تــاهت بها الأمواج في الشطآنِ
عش ما بدا لك سالماً في ظلّ شاهقة القصورِ
يُسعى عليك بما اشتهيـ ـت في الرواح وفي البكورِ
فإذا النفوس تقعقعت في ضيق حشرجة الصدورِ
فهناك تعْلم موقناً ما كنتَ إلاّ في غرورِ
وقال محمّد بن بشير :
ويلٌ لمن لم يرحم الله ومن تكون النار مثواه
والويل لي من كلّ يوم أتى
يُذكّرني الموت وأنساه

كأنّه قد قيل في مجلسٍ
قدكنت آتيه وأغشاه :
صار البشيريّ إلى ربّه
يرحمنا الله وإيّاه

سُمع بعضُ المحتضرين عند احتضاره يلطم وجهه ، ويقول : {.. يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦ } الزمر .

وقال آخر عند احتضاره : " سخرت بي الدنيا حتّى ذهبت أيّامي " .

وقـــال آخر عند موته : " لا تغـــرّنكم الحياة الدنيا كما غَرّتني " .

وقـال ابن السـمّاك : " احـذر السـكرة والحسـرة ، أن يفجـأك المـوت وأنت على الغِرّة فلا يصف واصفٌ ، قدر ما تلقى ، ولا قدر ما ترى " .

فـانظر لنفسك يا أخي ! واغتنم وقتك ، فـإنّ من جـدّ وجد ، وليس من سـهر كمن رقد ، والثـــواء قليل ، والرحيل قـــريب ،

والطريق مخـــوف ، والاغـــترار غـــالب ، والخطر عظيم ، والناقد بصير " [1] .

* كيف يستقبل الصالحون الموت .؟

اللحظـات الأخـيرة من الحيـاة مـرآة ، تتجلّى فيها ما كان يغلب على الإنسـان في حـــال صـــحّته وشـــبابه .. فمن غلب عليه الحبّ لله ورســـــوله عبّر عن حبّه ، ومن غلب عليه التعظيم لله والإجلال غلبت عليه الخشـــية والمهابة ، إلاّ أن يستحضر حسن الظنّ ، وعظيم الرجـــــاء بالله ، ومن غلب عليه الشعور بالـذنب والتقصـير غلب عليه الخـوف من سـوء الخاتمة والمـآل ، وربّما عبّر عن خوفه بما أوصى به بعضـــــهم أن

---

[1] الرقائق للشيخ محمّد أحمد الراشد ص/125/ ، نقلاً عن اقتضاء العلم العمل للخطيب البغداديّ ص/16/ .

تغلّ يديه ورجليه قبل دفنه .. لعلّ الله عــزّ وجــــــلّ أن يرحمه ، وأوصى آخر أن يلقى على المزابل .. ومثل ذلك من غلبة الأحوال التي لا تقـرّ ، ولا يعمل بها ، ولكنّها تعبّر عمّا كان عليه الإنسان في حياته ، من معـــانٍ إيمانيّة وحقـــائق ، وأحـــوال قلبيّة ومـــراتب .. وكــلّ ذلك خـــير ممّن عـــاش منكـوس القلب ، مسـلوب اللبّ بشـهوات الدنيا ، وأهواء النفس ، لم يفكّر يوماً بهَــذا المصـير ، ولم يسـتعدّ له .. فـاختر لنفسك أيّ ميتةٍ تموت ..

وعندما نطالع سير السلف الصالح ، ونرى كيف كانوا يستقبلون الموت ، نجد أنّهم كانوا يستقبلون الموت بنفوسٍ هادئة ، وقلوبٍ مطمئنّة ، لأنّهم امتلأت قلوبهم بحبّ الله ورسوله ، فتأتيهم الملائكة بالبشرى الله ، وأمّا الذين أترعت قلوبهم بحبّ الدنيا وشهواتها ، والتعلّق بها ، ونسوا الآخرة ، وغفلوا عنها ، فهم يجدون لفراق

الدنيا مرارة ما بعدها من مرارة ، وتتقطّع قلوبهم حسرة على فراقها .. وعندما يعاينون عالم البرزخ وما فيه من الأهوال تشتدّ نفرتهم من الموت ، ويندمون على ما كانوا عليه من العمل ، ولا مفرّ ، ولات ساعة مندم ..

" وإنّ وفاة المحبّين والعـارفين ، وعبـاد الله المقـرّبين ، من أروع الـتي تـبرز فيها المعاني الروحيّة السامية ، أمثال : " الحبّ والوفاء ، والشوق إلى اللقاء ، والثقة بوعد الله ، والحنين إلى رضـاه " ، حيّة شاخصة ، جميلة رائعة ، فهي ساعة تتجلّى فيها كلّ هـذه المعـاني والحقـائق ، الـتي جاهـدوا لأجلها ، وتفـانوا في سـبيلها ، وعاشـوا في جوّها ، وحنّـوا إليها ، كما يحنّ الطـائر إلى وكره ، حتّى إذا وافتهم هذه السـاعة كـانوا أشدّ شوقاً وإيماناً ، ورقّة وحنانـاً ، وطربـاً واهـتزازاً ، وطـرأت عليهم أحـوال وآثـار ، وأقبلت بـوادر خـير ، وطلائع سـعادة ،

يغبطهم عليها كثير من الأحيـاء ، وأصـحاب النعيم والسـعادة ، ويتمنّـون الوصـول إلى هــذه المكانة الســامية ، والحصــول على علامات القبـول في هـذه السـاعة الدقيقة الفاصلة ، التي هي محصول الحيــاة ، ولبّ اللباب " .

" ويورث ذلك في كثير ممّن شــرح الله صـــــدرهم ، ورزقهم الإنصــــاف من غـــــير المسلمين ، وكثير من الشـاكّين المنكـرين إيماناً بأنّ هناك حقائق غيبيّة ، وعالماً وراء الحسّ والمــــــــادّة أجمل وأوسع ، يهيم به الهائمون ، ويحنّ إليه المؤمنون المصدّقون ، وأنّ الأمر رأي عين لكثـــير من أصـــحاب العقيــدة والاتّبــاع ، وأنّ لتعــاليم الإســلام وحيـــاة الرســـول تـــأثيراً في نفـــوس المســلمين لا يوجد له نظــير ، في العمق والقــوّة ، والتغلغل في الأحشــاء ، عند أيّ

من الفلسفات الاقتصاديّة ، والتعاليم المادّيّة [1] .

ـ لما احتضر الحسن بن علي قـــال لمن حوله : أخرجـــوا فراشي إلى صـــحن الـدار قـال : فرفع رأسه إلى السـماء ، ثمّ قـــال : **" اللهم ! إني أحتسب نفسي عندك ، فإنّها أعزّ الأنفس عليّ "** [2] .

ـ وقال بلال حين حضرته الوفاة :

" غداً نلقى الأحبه محمّداً وحزبه "

وكـانت امرأته تقـول : وابلالاه ، ويقـول هو : وافرحاه .

وقال من حضر وفاة عمـار بن ياسر : رأيت عمـار بن ياسر دعا بشـراب ، فـأتى بقدح من لبن فشرب منه ، ثم قـال صـدق الله ورسوله ، اليـوم ألقى الأحبّه ، محمـداً

(?)1 ـ ربّانيّة لا رهبانيّة ص/142/ للشـيخ أبي الحسن النـدوي رحمه الله .

(?)2 ـ الثبات عند الممات للإمام ابن الجوزي ص/103/ .

وحزبه إنّ رسـول الله قـال : (**إن آخر شئ تـزوده من الـدنيا ضـيحة لبن**) [1] .

ولما طعن معـاذ بن جبل ـ أي أصـابه الطـاعون ـ قـال حين الـنزع : ــ وقد نُـزع نزعـاً شـديداً لم ينزعه أحـدٌ ، فكـان كلما أفاق من غمـرة ، فتح طرفه ــ ثمّ قـال : " **ربّ اخنقـــــني خنقك فوعزّتك إنّك لتعلم أنّ قلبي يحبّك** " .

وروي أنه لما حضـره المـوت قـال : " مرحبـاً بـالموت ، زائـرٌ مُغِبّ ، حـبيب جـاء على فاقة ، اللهمّ كنت أخافك فأنا اليـــوم أرجـوك ، اللهمّ إنّك تعلم أنّي لم أكن أُحبّ الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهـار ، ولا لغـرس الأشـجار ، ولكن لظمأ الهـواجر ، ومكابـــدة السـاعات ، ومزاحمة العلمـــاء بالركب عند حلق الذكر .

---

[1] (?) ـ المرجع السابق ص/108/ .

ولمّا مـرض حذيفة □ مرضه الـذي مـات فيه ، قيل له : ما تشـتهي . قـال : أشـتهي الجنّة ، قالوا : فما تشتكي ؟ قال : الذنوب ، قــالوا : أفلا نــدعو لك الطــبيب ؟ قــال : الطــبيب أمرضــني ، لقد عشت فيكم علي ثلاث :

ـ الفقر فيكم أحبّ إليّ من الغنى .

ـ والضعة فيكم أحبّ إليّ من الشرف .

ـ وأنّ من حمـــدني منكم ولامـــني في الحقّ سواء .

ثمّ قال : أصبحنا ؟ قـالوا : نعم ، قـال : اللهمّ إني أعوذ بك من صباح النار ، حــبيب جاء على فاقة ، لا أفلح اليوم من ندم .

ـ ويقــــول أنس بن مالك □ : لقي أخي الـــبراء زحفـــاً من المشـــركين ، فقـــال : أقسـمت عليك يا ربّ لمّا منحتنا أكتـافهم ، وألحقتـني بنـبيّ الله □ ، فمنحـوا أكتـافهم ، وقتل شهيداً .

ـ وروي أنّ أبا الدرداء اشتكى ، فدخل عليه أصحابه ، فقالوا : ما تشتكي ؟ قـال : أشتكي ذنوبي ، قالوا فما تشـتهي ؟ قـال : أشتهي الجنة . قالوا : أفلا نـدعو لك طبيبـاً ؟ قال: هو الذي أضجعني .

- وقال بعض من حضر وفاته : جئت أبا الدرداء وهو يجود بنفسه فقال : ألا رجـلٌ يعملُ لمثل مصـرعي هـذا ، ألا رجـلٌ يعمل لمثل يـــومي هـــذا ، ألا رجـــلٌ يعمل لمثل ساعتي هذه ، ثم قبض .

ـ ودخل مروان بن الحكم ، وكـان أمـير المدينة على أبي هريرة في شكواه الذي مات فيه . فقـال : " شـفاك الله " . فقـال أبـــــوهريرة : " **اللهمّ إنّي أحبّ لقائك فأحبّ لقائي** " . فما بلغ مروان أصحاب القطا حتى مات رحمه الله .

ـ وأوصى معاوية في وصــيّته ، ببعض الأمور ، وجاء في ختامها قوله : " **وخلّوا بين معاوية وأرحم الراحمين** " .

ـ ولما أسر عبد الله بن حذافة ، وأرادوا قتله بكى ، وعندما سـئل عن بكائه قــــــال : إنما أبكي إذ ليس لي إلاّ نفسٌ واحـــدة يفعل بها هـــذا في الله عزّ وجلّ ، كنت أحبّ أن يكــون لي أنفس بعــدد كــلّ شعرة فيّ ، ثمّ يفعل بي هذا .

ـ وعندما حضر المـوتُ أنسَ بنَ مالـكٍ ، جعل يقــول : لقّنــوني " **لا إله إلاّ الله** " ، فلم يزل يقولها حتّى قبض رحمه الله [1] .

ـ ويقول من شهد مقتل عمــرو بن عتبة : خرجنا في جيش فيه عمـــــرو بن عتبة فخرج وعليه جبةٌ جديدة بيضاء ، فقال : ما أحسن الــدم يتحــدر على هــذه ، فخــرج فتعــرض للقصر فأصــابه حجــرٌ فشــجّه ، فتحــدر عليها الــدم ، ثمّ مــات منها . فلمّا أصــابه الحجر فشــجّه جعل يلمسه بيــده ويقول : إنّها لصـغيرة ، وإنّ الله عـزّ وجـلّ ليبارك في الصغير .

---

[1] (?) ـ المرجع السابق من ص /129/ إلى /133/ .

ـ وقـال مطـرف لما حضـره المـوت : اللهمّ خر لي في الذي قضيته عليّ من أمر الـدنيا والآخـرة ، وأمـرهم أن يحملـوه إلى قبره ، فختم فيه القرآن قبل أن يموت .

ـ ومـات مجاهد بن جـبر رحمه الله وهو ساجد ، وكـان من أعلام التـابعين ، والأئمّة المفسّرين .

ـ ولما احتضر عمر بن عبد العزيز قال : اخرجـوا عـني فلا يبقى أحد ، فخرجـوا ، وقعدوا على الباب فسمعوه يقول : مرحباً بهذه الوجوه ، ليست بوجوه إنس ولا جـانّ ، ثمّ قال : {تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ } القصص .

ثم هدأ الصوت فقال مسـلمة لفاطمة : قد قبض صـــاحبك ، فوجـــدوه قد قُبض وغُمّض وسُوّي .

ـ وقال الحسن بن حيّ رحمه الله : قال لي أخي في الليلة التي توفّي فيها :

اسقني ماء ، وكنت قائماً أصلي ، فلما

قضيت صلاتي أتيته بماء فقلت : يا أخي هذا ماء . قال : قد شربت الساعة . قلت : ومن سقاك ، وليس في الغرفة غيري وغيرك ؟ قال : أتاني جبريل الساعة بماء فسقانى وقال لى : أنت وأخوك وأبوك من : {.. ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ } النساء ، وخرجت روحه .

ـ ولمّا حضرت أبا بكر بن عيّاش الوفـاة بكت أخته فقال لها : لا تبكي ، انظري إلى تلك الخزانة أو الزاوية التي في البيت ، قد ختم أخــوك في هــذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة [1] .

ـ ولما حضرت آدم بن إياس الوفاة ختم القرآن وهو مسجّى ، ثمّ قـال : بحـبي لك إلاّ رفقت بي في هـــذا المصــــرع ، كنت أؤملك لهذا اليوم ، كنت أرجوك ثم قال : " لا إله إلا الله " ثم قضى .

1(?) ـ المرجع السابق من ص/138/ إلى ص/155/ .

ـ وحـــدّث الإمـــام المحـــدّث أبو زرعة الرازيّ من حضر وفاته بحديث رسـول الله أنّه قال : (مَن كانَ آخرُ كلامِه : لا إله إلاّ الله دَخلَ الجنّةَ) ، وتوفي بعـده رحمه الله .

ـ وقــال فتح بن شــخرف : دخلت على ذي النـون عند موته فقلت : كيف تجـدك ؟ فقال :

أموت وما ماتَت إليك صبابتي ولا رويت من صدق حبّك أوطاري
مناي المنى كلّ المنى أنت لي منىً وأنت الغنى كلّ الغنى عند إقتاري
وأنت مدى سُؤلي وغايَةُ رغبتي وموْضع آمالي ومكنون إضمَاري
تحمّل قلبي فيك ما لا أبثّهُ وإنْ طال سقمي فيك أو طالَ إضراري
وبين ضلوعي منك ما لا أبثّه ولم أبدِ بادية لأهلٍ ولا جارِ
سرائر لا يخفى عليكَ خفيّها وإن لم أبح حَتّى التنادي بأسراري

فهب لي نسيماً منْك أحيا بروحه وجد لي
بيسرٍ منكَ يطرد إعساري
أنرت الهدىللمهتدين ولم يكن من العلم
في أيديهمُ عُشْر معشارِ
وعلّمتهم علماً فباتوا بنوره وبانت
لهم منه معالم أسرارِ
معاينةً للغيب حتّى كأنّها لما غاب
عنها منه حاضرة الدارِ
ألَستَ دليْل المرء إن هم تحيّروا
وعصمة من أمسى على جرفٍ هارِ

قــال الشــيخ ابن شــخرف : فلمَّا ثقل قلت له : كيف تجدك .؟ فأنشأ يقول [1] :

ومالي سوى الإطراق والصمت حيلة ووضعي على
خدّي يَدي عند تذكارِ
وإن طرقتني عبرة بعد عبرة
تجرّعتها حتّى إذا عيل تصباري
أفضتُ دموعاً جمّة مُستهلّة أطفّي
بهَا حرّاً تَضمّن أسراري

1(?) ـ المرجع السابق من ص/159/ إلى ص/164/ .

ولست أبالي فائتاً بعد فائتٍ إذا كنت في الدارين يَا واحداً جاري

ـ ولما اشـتدّ الأمر بحسن الغلاس طلب مـاءً ، فشـرب ، وقـال : لقد أعطـاني ما يتنافس فيه المتنافسون .

ـ وقال أبو بكر العطّار : حضـرت الجنيد رحمه الله عند الموت في جماعة لأصحابنا ، فكـان قاعـداً يصلّي ، ويثـني رجليه كلما أراد أن يسـجد ، فلم يـزل كـذلك حـتى خـرجت الـروح من رجله ، فثقل عليه حركتها ، فمدّ رجليه وقد تورمتا ، فـرآه بعض أصـدقائه ، فقـال : ما هـذا يا أبا القاسم ، قال : هذه نعم ، الله أكـبر ، فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الحريـري : لو اضطجعت (يا أبا القاسم) . قـال : يا أبا محمد ، هذا وقت يؤخذ منه ، الله أكبر . فلم يزل ذلك حاله حتّى مات رحمه الله .

ـ وقـال محمّد بن حامد : كنت جالسـاً عند أحمد بن خضـرويه ، وهو في الـنزع ، فسأل عن مسألة فدمعت عينـاه . وقـال :

يابني ! بابٌ كنت أدقه منذ خمس وتسـعين سـنة ، هو ذا يفتح لي السـاعة ، ولا أدري انفتح لي بالسعادة أم بالشـقاوة ، وأنّى لي الجـواب . وكـان قد ركبه من الـدين سـبعمائة دينـار ، وحضـره غرمـاؤه ، فنظر إليهم وقـال : " اللهم إني جعلت الرهـون وثيقة ، فأدِّ عني " . قال : فدقّ داقّ الباب ، وقال : أليس هذه دار أحمد بن خضـرويه ؟ فقـالوا : نعم ! قـال : فـأين غرمـاؤه ؟ فخرجـوا فقضى عنه ، ثم خـرجت روحه [1] .

ـ وغشي على خـير النسـاج عند صـلاة المغـرب ، ثم أفـاق ونظر إلى ناحية من الـبيت ، وقـال : قف ـ عافـاك الله ـ فإنما أنت عبـدٌ مـأمور ، وأنا عبـدٌ مـأمور ، وما أمرت به لا يفوتك ، وما أمرت به يفوتني ، فـدعني أمضي لما أمـرت به ، ودعا بمـاء فتوضأ للصلاة ثم صـلى ، ثم تمـدد وغمض عينيه ، وتشهد فمات ، فرآه بعض أصـحابه

[1] (?) ـ المرجع السابق من ص/167/ إلى ص/170/ .

في المنــام ، فقــال له : ما فعل الله بك ؟ قـال : لا تسـأل عن هـذا ، ولكن اسـترحت من دنياكم .

ـ وقال بعض من حضر وفـاة يوسف بن الحســـين الـــرازي : حضـــرنا يوسف بن الحسـين الـرازي وهو يجـود بنفسه ، فقيل له : يا أبا يعقـــوب قل شـــيئاً ، فقـــال : " اللهم نصـــحت خلقك ظـــاهراً ، وغششت نفسي باطنـــــاً ، فهب لي غشـــّي لنفسي لنصحي لخلقك " ، ثم خرجت روحه .

ـ ولمّا احتضر أبو الوَفاء بن عقيل رحمه الله بكى أهله ، فقال لهم : " لي خمسـون ســنة أوقّع عنه ، فــدعوني أتَهنَّى لمقابلته " .

ـ وقـــــال أحمد أخو الإمـــــام أبي حامد الغزالي : لما كان يوم الاثنين وقت الصــبح توضأ أخي أبو حامد الغزالي وصلّى ، وقال : عليّ بـــالكفن ، فأخـــذه ، وقبله ، وتركه على عينيه ، وقال : سمعاً وطاعة للـدخول

على الملك ، ثم مـــدّ رجليه ، واســـتقبل القبلة ، ومات قبل الإسفار [1] .

ـ ولما احتضر أبو بكر بن حـــبيب رحمه الله ، وهو من شـيوخ الإمـام ابن الجـوزيّ رحمه الله ، قال له أصحابه : أوصنا ، فقال : " أوصـيكم بثلاث : بتقـوى الله عز وجل ومراقبته في الخلـوة ، واحـذروا مصـرعي هذا ، فقد عشت إحدى وسـتين سـنة ، وما كأني رأيت الـدنيا ، ثم قـال لبعض إخوانه : انظر : هل ترى جبيني يعرق ؟ فقال : نعم . فقـال : الحمد لله هـذه علامة المـؤمن ، يريد بذلك قـول رسـول الله : (المـؤمن يمـوت بعـرق الجـبين) [2] ، ثم بسط يـده عند الموت وقال [3] :

ها قد مددت يدي إليك فردها
بالفضل لا بشماتة الأعداء

(?)1 ـ المرجع السابق من ص/171/ إلى ص /179/ .

(?)2 ـ الحديث رواه .

(?)3 ـ المرجع السابق ص/180/ .

ـ وكان أبو الوقت (عبد الأول) صالحاً كثير الذكر ، يقول الإمام ابن الجوزيّ رحمه الله : حدثني أبو عبد الله التكريتي : لما احتضر (عبد الأول) أسندته إليّ فكان آخر كلمة قالها : { .. قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ } يس .

ـ ويقول الإمام ابن الجوزيّ رحمه الله : دخلت على أبي محمد ابن الخشـاب ، وهو في مرض موته ، وهو ساكن غير مـنزعج ، فقال لي : عند الله أحتسب نفسي [1] .

كيف فارق الشيخ يحيى المنيري رحمه الله الحياة ، واستقبل داعي الله .؟ [2] : " يقول الشيخ زين بدر العربيّ ، من أخصّ أصحاب الإمام شرف الدين يحيى المنيريّ ، وهو يحكي خبر وفاته ، وكيف فارق هذه الحياة ، ولقي ربّه ؟ : " وآذنت الشمس

1(?) ـ المرجع السابق ص/182/ .

2(?) ـ ربّانيّة لا رهبانيّة ص/147/ للشـيخ أبي الحسن النـدوي رحمه الله ، والخبر طويل أنقل منه ما يتّصل بالوفـاة فحسب .

للغروب ، واستلقى على السرير ، وصلّى المغرب ، وحوله أخصّ أصحابه ، ورفع الصوت بالبسملة ، وأعادها مراراً ، ثمّ قال : لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين ، ثمّ جعل يبسمل ، وينطق بالشهادتين ، ثمّ قال : " لا حول ولا قوّة إلاّ بالله ، ثمّ بدأ يردّد الشهادة تتخلّلها البسملة ، ثمّ قال : " لا إله إلاّ الله ، محمّد رسول الله ، ثمّ قال وقد ملكه الذوق ، وفاضت الكأس بالحبّ : " محمّد ، محمّد ، محمّد ، ثلاث مرّات ، اللهمّ صلّ على محمّد ، وعلى آل محمّد ، وتلا : (ربّنا أنزل علينا مائدة من السماء ..) ثمّ قال : رضيت بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمّد نبيّاً ، إلى آخر ما قال في المرّة الأولى ، ثمّ ردّد الشهادة ثلاث مرّات ، ورفع يده إلى السماء وقال في غاية الشوق والإلحاح : اللهمّ أصلح أمّة محمّد ، اللهمّ ارحم أمّة محمّد ، اللهمّ تجاوز عن أمّة محمّد ، اللهمّ أغث أمّة محمّد ، اللهمّ

انصر أمّة محمّد ، اللهمّ فرّج عن أمّة محمّد ، فرجاً عاجلاً ، اللهمّ اخذل من خذل دين محمّد ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وانخفض صوته بعد ذلك ، وهو يقول : { يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝٦٨ }الزخرف . لا إله إلاّ الله ، ثمّ قال مرّة : " بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، وفاضت روحه " .

اللحظات الأخيرة في حياة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

يقول الشيخ زين الدين عبد الرحيم شقيق شيخ الإسلام : إنّه لمّا بدأ يقرأ القرآن بعدما أكمل ثمانين ختمة ، ووصل إلى قوله تعالى من سورة القمر : { إنّ المتّقين .. تكمّل الآيتان } تركني وأخذ في مدارسة القرآن مع الشيخ عبد الله بن محبّ ، وعبد الله الزرعيّ ، وكانا في غاية من الصلاح والتقى ، وأخوين شقيقين ، وذلك لأنّ الشيخ إنّما كان معجباً بقراءتهما للقرآن ، وما كادت تنتهي هذه المدارسة حتّى انتهت أيّام حياته " [1] .

---

[1] ـ من كتاب : " الحافظ أحمد بن تيمية " للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ص/114 .

وجاء في سـيرة الشـاعر محمّد إقْبـال أنّه في شهر نيسـان من عـام /1938/ هــ أحسّ بدنوّ أجله ، ولم يكن هَيّاباً ولا وجلاً ، وكان يقول مردّداً باللغة العربيّة هذا البيت :

آية المؤمن أن يلقى الردى
باسم الثغر سروراً ورضا

وقبيل وفاته بعشر دقـائق نطق بهـذين البيْتين :

نغمات مضين لي هل تعود أم نسيم من الحجاز يعود .؟
آذنت عيشتي بوَشكِ رحيلٍ هل لعلم الأسرارقلب جديد ؟ [1] .

وبعد ؛ فمـتى تصـحو أيّها الإنسـان .؟! لقد وقفت على " الدَّوْرِ " كما يقولـون منذ دخلت هــذه الحيــاة .. فما لي أراك كلّما امتــــدّ بك العمر .. وتنــــاهبت عافيتك الأمــراض والأسـقام ، وضـعفت قــواك ،

---

[1] (?) ـ من كتاب : " الدرّ النضيد من أعذب الأناشيد " للأستاذ حيدر مصطفى ص/23/ .

ووهنت عزيمتك ، وتناثر الشيب في وجهك ورأسك .. تــزداد تعلّقــاً بالحيــاة وآمــالاً ، وتتناسى الموت .. ولعمر الحقّ ما كان لك أن تتناساه ، وقد ودّعت والـديك وأحبابك ، وكثـــيراً من أقاربك وأصـــحابك .! فمـــاذا تنتظر قل لي بربّك .؟!

صلّينا في الحرم المكّيّ فجر يـوم على عـــدد من المـــوتى .. وتبعت جنـــازة بعض أقاربي ، وعنـدما وصـلنا مقـبرة المعلى .. كـــان مشـــهداً جليلاً ، لأوّل مـــرّة أراه في حياتي .. كان عدد الجنائز سـتّاً أو سـبعاً .. ووقف أصـــــحابنا .. ووضـــــعوا الميّت ، ينتظرون دورهم ليدفن ، وقلت في نفسي : " الأحيـاء ينتظـرون دورهم إلى المـوت ، والموتى ينتظرون دورهم إلى القبر .! لقد تقـارب المـوت ، وتسـارعت خطـاه .. ولو نظرنا بعين البصـيرة لرأينا المـوت أسـرع خطىً ، وأكـــثر حصـــداً للأنفس من هـــذه الجنائز القليلة .. " .

أعــرني ســمعك قليلاً ، قبل ألاّ تنفعك الذكرى .. ألا تعظ نفسك بما كـان عمر بن الخطّـاب يعظ نفسه فيقـول : " يقولـون مـات فلان ، ومـات فلان .. وغـداً يقولـون مات عمر ! " .

نعم ، لقد مــــات عمر ، ومضى على موته ما يـــنيف على أربعة عشر قرنـــاً .! فماذا ترك عمر بعده .؟ لقد تـرك السـيرة العطرة والذكر الحسن .. الذي أسعد الأمّة ، وملأ سمع الدنيا ..

* اللهم أكرمنا بحسن الخاتمة :

يقول الله تعالى : { إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ } الأنبياء .

اعلم أخي المؤمن ! أنّ الناس في أمر الخاتمة ـــ نسـأل الله تعـالى حسـنها بمنّه وكرمه ــ على ثلاثة أصناف :

* الأوّل : من أكرمه الله تعـالى بحسن الخاتمة بصـــورة ظـــاهرة ، كمن قتل في سـبيل الله تعـالى ، أو مـات صـائماً ، أو حاجّاً ، أو ختم له بذكر الله تعالى وتوحيده ، أو على أيّ طاعة من الطاعـــــات لله تعـــــالى ، أو بعد طاعة من الطاعـــــات المكفّـرة للخطايا ، كمن مـات بعد صـيام شهر رمضان ، أو بعد أداء فريضة الحجّ ..

* الثـاني : من ختم له بســوء الخاتمة ، والعياذ بالله تعالى ، كمن مات على معصية من المعاصي ، أو كبـيرة من الكبـائر ، أو مات مصرّاً على الكبـائر ، كـترك الصـلاة ، وشـــــــرب الخمر ، وأكل الربا ، أو ظلم النـاس والعـدوان على حقـوقهم ، أو دعي

إلى الشـهادة قبل موته فـرفض النطق بها .. ولا يعـني سـوء الخاتمة أنّه مـات على الكفر ، ولكنّه يخشى عليه أن يكون كـذلك .. ولا نجزم بذلك ، إلاّ إذا سمعنا منه الكفر ، الذي لا يقبل التأويل قبل موته بقليل ..

* الثالث : من كـان مسـتور الحـال في خاتمته ، ممّن لم يكن على حـــال أحد الصنفين السابقين ، فنرجو لهـذا أن يكـون عند الله تعـالى حسن الخاتمة ، حســنَ المآل ..

فمن أراد أن يكرمه الله بِحسن الخاتمة فعليه أن يحكم دائمـاً أمر التوبة النصوح ، فيحاسب نفسه ، ويجـدّد التوبة ، قال الإمـام ابن رجب رحمه الله تعـالى : " الناس في التوبة على أقسام :

ـ فمنهم من لا يوفّق لتوبة نصـوح ، بل ييسّر له عمل السيّئات من أوّل عمره إلى آخـره ، حتّى يمـوت مصـرّاً عليها ، وهـذه حالة الأشقياء ـ والعياذ بالله تعالى .

وأقبح من ذلك من يُسّـــــر له في أوّل عمـره عمل الطاعـات ، ثمّ ختم له بعمـلٍ سـيّءٍ حتّى مـات عليه ، كما في الحـديث الصـــحيح : (.. وإنّ أحـــدكم ليعمل بعمل أهل الجنّة ..) [1] .

ـ وقسم : يفـــني عمــــره في الغفلة والبطالة ، ثمّ يوفّق لعمـلٍ صـالحٍ فيمـوت عليه ، وهذه حالة من عمل بعمل أهل النار .. والأعمـال بـالخواتيم .. وهـؤلاء منهم من يوقظ قبل موته بمـــــدّة ، يتمكّن فيها من الــتزوّد بعمــلٍ صــالح ، يختم به عمــره ، ومنهم من يوقظ عند حضــــور المــــوت ، فيوفّق لتوبة نصوح ، يموت عليها .

ـ وقسم : هو أشرف الأقسام وأرفعها ، وهو من يفـني عمـره في الطاعة ، ثمّ يُنبّه على قرب الأجل ، ليجدّ في التزوّد ، ويتهيّأ للرحيل بعملٍ يصـلح للقـاء ، ويكـون خاتمة للعمل .

---

[1] (?) جـزء من حـديث طويل رواه البخـاريّ بـرقم /6/220 ومسلم برقم /2643/ .

وتأخير التوبة في حـال الشـباب قـبيح ، وفي حال المشيب أقبح وأقبح ، فـإن نـزل المرض بالعبد ، فتأخيره للتوبة حينئــذٍ أقبح من كلّ قبيح .. " ومن نزل به الشــيب فهو بمنزلة الحامل ، الـتي تمّت شـهور حملها ، فما تنتظر إلاّ الــولادة ، كـــذلك صـــاحب الشـيب ، لا ينتظر إلاّ المـوت ، فقـبيح منه الإصرار على الذنب " .

* وقائع وأخبار ، فهل من مدّكِر .؟

عندما يحلّ الموت بساحة أحد الأحياء تتوقّف الحياةُ عن مسارها قليلاً .. وتتغيّرُ بعضُ الأوصاف في الناس والأشيَاء : فالأمّ ثكلى .. والزوجة أرملة .. والأطفال أيتام .. والمالُ ينتقل عن ملك الميّت إلى وارثه .. والمكان الذي كان يملأه الإنسان فارغ بانتظار من يحلّ فيه .. وربّما ارتفع أناس ،

وانخفض آخرون ، واغتنى أناس ، وافتقر آخرون .. وتنفّس أناس الصعداء ، ودالت دولة آخرين ، وودّعوا ما كانوا فيه من العزّ ، أو التسلّط على عباد الله ..

ويودّع الأحياء ميّتَهم إلى قبره .. مهما كان عزيزاً عليهم ، ويتركونه .. ولا أنيس له إلاّ عمله .. ثمّ تَستأنفُ الحيَاة دورتها .. ويمضي الناس في جدّهم ولهوهم ، وتنافسهم وتكاثرهم .. ويُنسى من مات إلاّ قليلاً .. فهل من مدّكر .؟! وهل ينفع الإنسَان إلاّ نفْسه .؟! فعلام الافتتان بالناس ، والاغترار بالدنيا ، والجري وراء الناس ، والحرص على مرضاتهم .؟!

فسبحان من يقتل الجمل ليَطعَم الكلبُ والغراب .! ويقتل الأسد لتَطعَم توافهُ الدوابّ .!

يقول الله تعالى : { حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا

كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠ } المؤمنون .

وقَالَ تعالى : { وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ١٨ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩ } ق .

ويقــول ســبحانه : {تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢ } المُلْكُ .

فســـبحان من قهر عبـــاده بـــالموت ، وجعل الإنسان مهما بلغ من القوّة والبأس لا يملك أمام المـــوت إذا نـــزل به أو بأحد أحبّته دفعـــاً ولا نفعـــاً .. والمـــادّيّون من البشـــر ، الـــذين يســـخر منهم الشـــيطان ، ويتلاعب بهم في كـــــلّ آن ، لا يزالـــــون يطمحـــــون بما أوتـــــوا من العلم القليل ،

ويؤمّلون أن يقضوا على المـوت من حيـاة الإنسان .. وهيهات لهم هيهات .!

أســـمعتَ خـــبر ذلك الطاغية المُلحد ، الـذي عـاث عشـرات السـنين فسـاداً في الأرض .. وما أكثر أمثاله في دنيا النـاس ! ثمّ جاءه المـوت ، وبُـذل له آخر ما توصّـل إليه العلم في الطبّ من أسباب .. وبقيت بعض أجهزة جســمه تعمل بطريقة كهربّية آلّية .. ولكن ما فائدة ذلـك ، والجسـم كلّه غَائب الوعي ، فاقـد الإحسـاس والشـعور .؟!

وأمّا المؤمنـون الموقنـون بـربِّهم فهم يعلمون أنّ الموت لا مفرّ منه ، وأنّه يدرك الإنسان لا محالة ، يقول الله تعالى : { أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ .. ﴿٧٨﴾ } النساء .

وروي عن عليّ أنّه قال :

أيّ يوميّ من الموت أفرّ يوم لا يقدر أم يوم قدر

يوم لا يقدر لا أرهبه ومن المقدور لا ينجو الحذر

لقد تعوّذ النبيّ من موت الفجاءة لما أنّ الإنسان غالباً ما يكون غير مستعدّ للانتقال من هذه الدار ، أو يكون على حال من الغفلة أو المعصية ، فيختم له بسوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى .. ولكنّ العاقل ينبغي أن يكون مستعدّاً للموت قبل نزول الموت ، وهذا يتطلّب منه الاستقامة على دين الله في كلّ شأن من شئون حياته ..

وما أكثر الأحداث والوقائع التي يعرفها كلّ إنسان منّا من موت الفجاءة .. الذي دهم بعض النــاس على اختلاف أعمارهم وأحوالهم ، فكان موتهم عبرة لمن حولهم ، ولكنّها عبرة موقوتة قاصرة ، ثمّ عاد الناس إلى ما كانوا عليه من لهو وغفلة ..

وهذه الوقائع التي أقدّمها لك أخي القارئ ليست من بنات أفكاري ، ولا من نسج الخيال ، وإنّما هي ممّا أعرف أشخاصه حقّ المعرفة ، أو ممّا سمعته من

ثقاة الناس ، وفيه العبرة والموعظة ..
والسعيد من وعظ بغيره ..

إنّها قصص ومشاهد واقعيّة ، من حياتنا المعاصرة ، أرويها لك ، ولعلّك قد سـمعت ببعضـها ، ولعلّك تعـرف أكـثر منهـا .. ولا نقصد بها شـماتة بأحد أو تشـهيراً ، وإنّما نريد بها العظة للأحياء والاعتبار ..

1 * مخطوبة والموت يخطبها !

ألم تسـمع بخـبر تلك الفتـاة الجميلة الحسناء .. التي ابتسـمت لها الحيـاة يومـاً من الدهر ، وأخفت لها ما لم يكن لها على بال .. لقد خطبها شابّ ثـريّ ، قـدّم لها ما لا تطمح فتاة إلى مثله .. ففرحت بما قدّم ، وفرح بها أهلها ، ومضوا في تجهيزها بكلّ ما يخطر لهم على بَـال .. وعنـدما قـاربت يـوم زفافها .. دهمها مـرض لم يعـرف له الأطبّـاءُ سـبباً ولا دواء ، ولم يمهلها سـوى أيّـام .. حتّى زفّت إلى قبرها ، بـدل أن تُـزَفّ العـروس إلى عروسـها ، وهـاجت الأحـزان بالنـاس أيّامـاً عليها ، ثمّ نسـيها

النـاس ، ونُسي خبرُها ، وتـزوّج مَن خَطبها .. ومضى ركبُ الحيـــــاة بأهلها .. ألم يقل الشاعر العَربيّ قَديماً :

كُلّ امرئٍ مُصبّحٌ في أهله
والموتُ أدنى مِن شِراكِ نعلِه

2 * في طريقه إلى الجامعة ..

نــال الشــهادة الثانويّة بتفــوّق ، فتَفتّح الأمــــلُ بالمســـتقبل المشـــرق في نَفس والديه ، وأصـبحت الأمـاني قريبة المنـال ، قاب قوسـيْن أو أدنى .. وحمل أورَاقه ذات يوم مبكّـراً إلى الجامعة ، واسـتأذن والـدهُ أن يأخذ سـيّارته ، فالجامعـةُ بعيـدة ، وبينَ مدخلها وعمادة القبول والتسـجيل مسـيرَة ربع ســاعة على الأقــدام .. ولكنّ والــده أدركته الشفقة ، وخاف عليه من حـادث .! فلم يأذن له .. فركب سيّارة عامّة ، ونــزل أمام مدخل الجامعة في الشـارع المقابل ، لقد أصـبح قريبـاً من الأمل المنشـود ، وما هو إلاّ أن يقطع الشــــــارع .. وبينما يهمّ بقطع الشـارع فجأته سـيّارة ، تطـير كأنّها

الـــــريح المــــــدبرة ، فحملته على واجهة زجاجها ، لتلقي به بعيداً خمسة عشر متراً ، تنزف دماؤه من كلّ جسده .. ليموت بعد لحظات قليلة .! لقد خاف عليـهِ والـده منَ القدر .! وهَل ينجي حـذرٌ من قـدَر .؟! لقد تبخّر الحلم ، وتـــوارى مع الشــــابّ الغضّ الإهـــاب تحت الـــتراب .. ومضى النـــاس يصنعون لأنفسهم من الأوهام حُلمـاً ورديّـاً جديداً ..

3 * ودّع زوجته ولم يعد إليها إلاّ محمولاً ..

في الثلاثين من العمر ، من أطـــول من رأيت من الرجال ، ممتلئٌ شباباً وقـوّة ، لا يشـكو مرضـاً ولا علّة ، قد وسّـع الله عليه في كلّ شيء ، واكتملت له مبـاهج الحيـاةِ بالزوجةِ الحسنَاء ، وعدد من الأولاد .. خرج من بيته في جــدّة لمصــلحة تجاريّة له في ينبع ، وأكّـدت له زوجته ألاّ يتـأخّر عليها .. فأكّد لها أنّه لن يتـــأخّر ، فلن يـــأتي عليه

الظهر إلاّ وهو في جـــــدّة .. ولم يسر في طريق المدينة خمســـين كيلاً ، بســـيّارته الفارهة الجديدة ، حتّى شعر بثقـلٍ في رأسه ، فوقف إلى جانب الطريق ، وأسـند رأسه إلى مقود سيّارته .. وكـان هـذا آخر عهـده من الـــدنيا .. وبعد يــومين أعيد إلى زوجته محمـــولاً .. وتغيّر وجه الحيـــاة لمن تـــرك بعده .. والبقاء لله وحده ..

4 * مات وهو مسترخٍ على مكتبه ..

المراجعـون له لا تنتهي أعـدادهم ، من أوّل ما يـــدخل مكتبَه إلى أن تحين ســـاعة انصـــرافه ، وإنّ منهم من يلحّ عليه لينجز له معاملته ، ولو تـــــــــــأخّر في مكتبه بعد الانصراف نصف ساعة أو أكـثر .. لقد كـان يجد في عمله ، وخدمة الناس لها لــذّة في نفسه لا تعــدلها لــذّة ، ولم يفكّر يومــاً أن يغلق عليه مكتبه ، ويحتجب دون النـــاس ، ولو لـــــــدقائق ، كشـــــأن بعض زملائه الموظّفين .. ولكنّه اليـوم يشـعر بالإرهـاق قد بلغ به الغاية ، فلم يجد مناصـــــــاً من

الاعتـــذار لمن في مكتبه ، وأن ينتظـــروه خـارج المكتب عشر دقـائق فقط .. وأغلق الباب وراءهم ، وتوسّــد يديْه على مكتَبه .. وطال انتظار الناس نصف ساعة أو أكثر .. وازْدحم المراجعـون أمـام بـاب المكْتب .. ومـــرّ المـــدير ، فتَعجّب .! " هل يعقل أن يكون مكتب أبي سـعيد مغلقـاً .؟! وحسب أنّه خــارج مكتبه .. وازداد عجبه عنــدما قيل له : إنّه داخل المكتب ، وقد أغلق عليه الباب منذ أكثر من نصف ساعة .! فارتابت نفسه ودخله الشـــكّ ، ودفعه الـــريب أن ينظر إلى الرجل من الشـــــبّاك الخلفيّ .. فوجـــــده قد وضع رأسه على مكتبه وكأنّه نـائم .. فارتـاب لمنظـره وهيئته .. فطـرق عليه الشبّاك بقـوّة .. فلم يسـتجب لطرقه .. وزاد في الطــــرق أكـــثر ، ولكنّ الرجل مصرّ على عدم الانتباه أو المبالاة .. وشعر المـدير بـالحنق عليـهِ لهـذه السـابقة غـير المألوفة منه .. إنّه يغـطّ في نَـوم عميق .. ومتى كان المكتب مكاناً للنوم .؟! واقتُحم

المكتب بعد ســاعتين .. لــيرى النــاس أبا سعيد قد ودّع الحياة في مكتبه ، الذي ألفه وأحبّه ، وقضى فيه عشـرين عامـاً شـطراً من حياته ..

5 * كان يلعب بين أترابه ..

فـــوّاز في الصـــفّ الرابع الابتـــدائيّ .. تتـــــوثّب نفسه نشـــــاطاً وحركة ، وحيويّة ومرحــاً .. وكعادته كـلّ يـوم ألقى محفظة كتبه .. وعمد إلى غرفة الطعـــام .. فوقف أمام المائدة لحظات ينظر أنواع المأكولات التي فيها .. فقـالت له والدته كعادتها : من دون طيش اجلس ، وكل بهـدوء ، فـاللعب مع رفاقك لن يضـــيع عليك ، ولكنّ فكـــره كان خارج البيت كلّه .. فما هي إلاّ لحظات ولقيمــــــات .. ثمّ كــــــان بين رفاقه ، وقد تجمّعـوا قبله ، واسـتعدّوا للعب والمـرح .. وتــراكض الأولاد وتـــدافعوا .. وتشاكســـوا واختلفـوا ، وفضّ الكبـير فيهم كما اعتـادوا ذلك منازعــــاتهم ، وعــــادوا إلى اللعب من جديد .. وما هي إلاّ لحظـات حتّى اصـطدم

فوّاز ببعض رفاقه وجهاً لوجه .. فوقع على الأرض مغمىً عليه .. وعبثــاً حــاول رفاقه إنعاشه .. وظنّـــوه أوّل الأمر أنّه يتصـــنّع ويكــذب عليهم .. ولكنّه كـان فاقد الــوعي تمامـــاً .. فاضـــطرّوا إلى إخبـــار أهله .. وعندما حضر أخوه الكبـير وجـده قد فـارق دارَ اللهو واللعب إلى غير رجعةٍ إليها ..

6 * أمام خزانة أمواله ..

كــان كثــير من أصــحابه يذكّرونه بفعل الخـير بماله ، فكـانت كلمته لهم دائمـاً : " أجّلوا هذا الأمر .! " ، فسمّاه بعض أصــحابه : " أجّلـــوا هـــذا الأمر .! " ، وربّما ســـبقه بعضهم بهـذه الكلمة قبل أن يقولها .. حتّى استحيا من نفسه .. ولكنّهــا لم تطاوعه أن يستجيب يومـاً ، ليقـدّم شـيئاً من ماله في وجه من وجــوه الخــير .. وربّما نــدّت منــه كلمات ، يشكّك فيهـا بمن يجمع التبرّعـات لأعمـــال الخـــير ، ليـــبرّر إمســـاك يـــده ، وإحجامه وتقاعسه ..

وكان من عادته منذ عشرين سنة .. أن يخلو بنفسه ، ويغلق عليه بـــاب غرفته ، لا ليـذكر ربّه ، ويـؤدّي بعض حـقّ ربّه عليه ، وإنّما ليفتح خزانة أمواله ، ويتفقّد ثرواته ، فيقلّب شيئاً ، ويعـدّ آخر ، ويفكّر في بعض أنواع الأوراق الماليّة ، التي يحتفظ بها منذ سـنين : أتـربح اليـوم أو تخسر .؟ .. وربّما بقي في خلوته تلك سـاعات متواصـلة .. لا يكلّ ولا يملّ .!

وفي يوم من الأيّـام وهو كـذلك .. وبين يديه تلك الأوراق الماليّة القديمة ، والحاسبة في يده يضـرب ويقسم .. توقّف ذاهلاً أمـــام رقمٍ ظنّ أنّه غـــير صـــحيح .. فأعاد الحسـاب مـرّة بعد مـرّة .. لقد كـان الرقم صحيحاً .. فـازداد ذهوله ، وارتعشت يداه .. فخـرّ على تلك الأوراق الماليّة ميتـاً .. كان شهيد المال أو قتيله .. فمـاذا نفعته تلك الأموال .؟!

7 * نام ولم يستيقظ ..

قبل أن ينـــام حدّثته نفسه أن يفطر في الغد عند ولده عبد الله .! فعقد العــزم على ذلك .. وفي الصـــباح البـــاكر ، مـــرّ على مخزن ولده فوجده مفتوحاً ، فسلّم عليه ، وقال له : أريد أن نفطر معاً فائتنا بــالفول وقـرص من " خـبز الـبرّ " إلى هنا .. فـأبى عليه ولـــده إلاّ أن يـــذهبا إلى الـــبيت فهو قريب ، وزوجته تعدّ لهم إلى جـانب الفـول أطباقـــــاً أخـــــرى من طيّب الطعـــــام.. فاستجاب لولده .. واحتفت به زوجة ولـــده .. وأفطــروا جميعــاً ، ثمّ بــدا له أن ينــام مكانه .. فـــألحّت عليه زوجة ولـــده .. أن يتوجّه إلى غرفــةٍ بعيــدة عن ضـجّة الأولاد وأصواتهم ، فاسـتجاب لها .. **ونـام نومته تلك ، ولم يستيقظ** ..!

8 * مزرعة لا مثيل لها..! **" لن تمضي على هـــذه المزرعة خمس ســـنوات ، حتّى تكـــــون أحسن مزرعة ، وأجمل مزرعة في ســـوريّة كلّها ..! "** كـــانت هـــذه كلماته مع جميع أصـــحابه وزملائه ،

وفي كـــــلّ مناســـــبة .. وقضى وقته في مزرعته ، لا يدّخر جهداً ولا مـالاً .. وكـانت تحتضن مـــنزلاً قد بلغ به الفنّ المعمـــاريّ غايته .. وفرّط في سبيل ذلك بجلّ واجباته ، لقد كانت معشوقته من الدنيا ، ينام على التفكـــير فيها ، ويصـــحو على ذلك ، ومنذ ثلاث ســنوات لا يعــرف أهله أنّه أعطــاهم شــيئاً من وقته ، لــيرفّههم ، ويـــروّح عن أنفسهم ، كما يفعل كثير من الآباء .. وكلّما ثارت عليه زوجته وأولاده كان يقــول لهم : عندما تكتمل المزرعة يكـون كـلّ شـيء .! فتعتصم زوجته بالصــمت ، وتعلّل نفســها بالأمـاني .. والأنكى من ذلك كلّه والأمرّ أنّ هــذه المزرعة المعشــوقة قد حملته على مـــــدّ يديه بل ذراعيه إلى الحــــــرام من الرشــــــوة والاختلاس .! إنّها تتطلّب منه المـال بغـير حسـاب .. وراتبه المحـدود لا يفي بنفقــات أســرته ، فــأنى له أن يفي بمطالبها .؟! وغاب كعادته يوم الجمعة عن الــبيت .. إنّه ولا شــكّ في المزرعة ، ولكنّ

غـــاب يـــوم الســـبت عن عمله ، واتّصل زملاؤه بـالبيت ، فقيل لهم : إنّه في العمل .! فـــأخبروا زوجته أنّه لم يحضر إلى عمله هـــذا اليـــوم .. فـــدخلتها الريبة لغيابه ، فأرســـلت أخاها ليتفقّـــده .. فاتّصل بها ليخبرها أنّه وجـده ملقىً على الأرض أمـام درجـات منزله في المزرعـة .. كـان ميتـاً قبل أن يدخله ..

أفما كان حريّاً بك أيّها الإنسان أن تعـير شـيئاً من اهتمامك لمزرعة الآخـرة .؟! ولا مفرّ لك منها .!

9 * المتنافسات في الطعام ..

منذ أشـهر وهي في مبـاراة شـديدة مع زميلاتها : من منهنّ تســـتطيع أن تصـــنع أطباقاً من الطعام أكثر خلال أربع سـاعات في المطبخ .؟ وكـــانت هي وإحـــداهنّ كفرسي رهـان .. " لقد صـنعت حنـان في الأسـبوع سـبعة أطبـاق .. ولابـدّ أن أغلبها هـذا الأسـبوع " هـذا ما قالته لزوجها في الصـباح ، قبل أن يخـرج لعمله .. فضـحك

من تفكيرها كعادته ، وقال لها : أسـأل الله تعـــالى أن يشـــغلكنّ بما ينفع .! وقبل أن يرجع من عمله اتّصل بين ســاعة وأخـــرى ثلاث مـــرّات أو أربع ، ليطمئنّ على نجـــاح زوجته في مهمّتها .. ولكنّها لم تســـــتجب للهاتف في كـلّ مـرّة : " لابـدّ أنّها منهمكة في المطبخ إلى رأسها فلا تسمع الهاتف .. أو أنّها تســــمع ولا تســـتجيب ، لأنّها تريد كسب الـوقت فلا وقت للهـاتف اليـوم .! " وعاد من عمله ، وهو يعدّ في نفسه كلامــاً يداعبها به .. إنّها مرهقة حقّاً .. ولاشكّ أنّها غارقة في عملها .. " فلأخفّف عنها ببعض المـــداعبات .! " ودخل الـــبيت فـــأحسّ بالســـكون المخيف يخيّم عليه .. لا حركة ولا حِسّ .! ودخل غرفته وغيّر ثيابه ، وخـــرج يتنحنح بصــوته كيلا يفــاجئ زوجته بغير شعور منها .. وعنــدما دخل المطبخ .. وجدها في أرض المطبخ واقعة على وجهها ، وطبق الطعام بين يديها ..

لقد مـــاتت منذ اللحظـــات الأولى من الصباح .. قبل أن تعدّ أيّ طبق من الطعام .!

10 * كان يسمع الهجاء من خصمه ..!

التنافس بين الناس على سـراب الـدنيا وأوهامها قصّة قديمة متجدّدة .. كم أريقت في سبيلها من دمـاء .! وكم انتهكت لأجلها من حرمـات .! وكم اقـترف الإنسـان من مظـالم .! وكم زيّنت الظلم للظـالم .! ثمّ مضى المظلـــــوم وظالمه ، لم يأخذ أحد منهما من نشب الـــدنيا كثـــيراً ولا قليلاً .. لقد مضـــوا إلى الحكم العـــدل ، الـــذي لا تخفى عليه خافية ، ولا يتجاوزه ظلم ظالم ..

كانوا في نظر الناس أدبـاء محـترمين ، ولكنّ بعضـــهم لم يعـــرف من الأدب إلاّ اسـمه .. اشـتدّ بينهم التنـافس ، حتّى بلغ حـــدّ الكيد الـــذي لا يعرفه إلاّ الســفهاء .. فسعى بعض العقلاء ليصلحوا بينهم ، وليتهم لم يسـعوا ، ولم يجمعـوا ، وكـان أحـدهم

مغــــروراً بنفسه أشـــدّ الغـــرور .. عنيـــداً مشاكساً ، قد أوتي لسـاناً سـليطاً ، يهـذر بأقذع الكلام وأمرّه .. فكان يأبى الصـلح أو اللقاء ، ولكنّه استجاب بعد طـول التـأبّي ، وفــرح المصــلح ، واستبشر خــيراً ، فهــذا اللقــاء سـيجدّد عهـود الطفولة والنشـأة ، الـتي جمعت بينهم دهـراً طـويلاً .. وعـزم المصــلح إن تمّ هــذا الأمر ، أن يصــنع لهم حفلة طعام ، تكـون حـديث المجـالس بين النـاس .. وذلك بعض مقـدوره ، إذ هـو من سراة الناس وأغنيائهم ..

وافتتح المصـــلح المجلس بأصـــحابه ، وتلطّف بـالقول ، ونـثر من بـديع الشـعر ، وقصص الاعتـذار والـودّ ، ما يرقّق القلـوب ويصـــفّيها ، ويخلص النفـــوس ويزكّيها .. واســـتأذن بعـــده بـــالقول ذلك العنيد المشـاكس ، وعنــدما أذن له ، أخذ يهــدر بأنواع من الهجاء المقذع ، والسباب الأدبيّ المفحش ، تجاه صاحبه الذي كان يهجره .. وعبثـاً حـاول معه الرجل المصـلح ، وهو لا

تهــدأ له ثــائرة ، ولا يكــفّ لســانه ، وكأنّه المدفع الآليّ يهدر بالحمم والنار .. وصاحبه الذي يُسَبُّ فاغر فاه ، وكأنّه في عالم آخر لا يســمع ولا يعي .! وهــدأ لحظــات ذلك الشكِس البذِيء ..

فسـمع عنـدها الحاضـرون من صـاحبه كلمة واحدة .! لقد قال : آه ! وفارق الحيـاة .. وحسـبُ ذلك الشـكِس البـذِيء أنّه قاتل عمــدٍ بلســانه .! فهل يحكم عليه القضــاة بذلك .؟ وأيّهما أهون عنده أهـذه الـدنيا أم هذه الخصومة التافهة .!؟

11 * اجتمعوا على الخمر والفساد ..

رهط من أخلاّء السوء ، قـــد اجتمعت لهم الأمـــوال بغـــير حســـاب ، وامتلأت أجسادهم بالقوّة والعافية ، وطالت أوقات فراغهم وامتدّت ، فكانت هذه الثلاث خمر النفـــــــوس الفارغة ، والتقت بها خمر الكئوس ، فكانت الليالي الطويلة تمـرّ بهم ، وكأنّها لحظــات قليلة .. ويتشــابه هــؤلاء

الآخـــرون بأولئك الأوّلين ، الـــذين قـــال مغرورهم الأفّاك ، وهو يغنّي لأصحابه :

حرام على هذي الديار مماتها
وحـــقّ لها أن تطـــرب الـــدهرَ والمدى ..
ويا أيّها الناعي المذكّر إنّنا
تقوم بنا الدنيا ويخطئنا الردى .!

. (1)

وطاب لهم المجلس يوماً فيما يظنّون ، وهم يـأكلون ويلهـون ، ويحتسـون ما حـرّم الله عــزّ وجــلّ من الشــراب .. فشــرِق أحـدهم ببعض طعامه ، فحـاول أن يسـعفه بعض أصـحابه ، وهم يعبثـون ويضـحكون ، وما علموا أنّ أجله كان يتربّص به ، فمـات بين أيديهم وهم لا يصدّقون .!

12 * " ما بدّي أموت ! ما بدّي أموت ! "

---

[1] (؟) ـ ومن أنتم .؟! ومــاذا تكونــون أيّها الســفهاء المخبولون .؟!

كـــان في الخمســـين من العمر ، ولكنّ من يراه يحسبه لا يتجــاوز الثلاثين ، لما أنّ الترفيه والبعد عن أيّ همّ قد عملا في نفسه عملهما ، ولعــلّ التظــاهر بالشــباب القوّة لهما في ذلك أثر وأيّ أثر ..

وما دامت القـوّة والعافية لغـيره لتـدوم له ، ففاجــأه الــداء الخــبيث ينخر في مخّه من حيث لا يدري .. وقرّر أولاده أن يخفــوا عنه حقيقة مرضه ، ممّا جعله لا يـــــراه إلاّ وعكةً عارضة سرعَان مَا تـزول ، ويعـود إلى ما كــان عليه من اللهو والمجــون ، وتــردّد إليه رفاق الســوء وبائعـات الهـوى ، وهم لا يفــتئون يحدّثونه ببضــاعة الســوء .. ووجد نفسه دونهم أســيراً أو أشــبه بالســجين ، فكـان يتطلّب من أطبّائه الخـروج الســريع من المستشفى ، وهم يرون صحّته تتدهور وتســوء يومـــاً بعد يــوم ، ولا يســتطيعون إخباره ، إلاّ أنّهم يعلّلونه بضرورة الإشراف عليه ، ومتابعة التحاليل الطبّيّة المتنوّعة ، وكـان يثـور على أولاده بين الحين والآخر ،

يطالبهم أن يخرجوه من المستشــفى ، فلا يملكـــــــــون إلاّ تعليله وتعليقه بالأمل .. وتــدهورت صــحّته ، حتّى شــارف المــوت وقاربه ، ولكنّ العـــودة إلى الـــدنيا ولهوها وعبثه فيها لا تـــزال تـــداعب خـــواطره .. ودخل في مراحل المـــــرض الأخـــــيرة ، مراحل الغيبوبة الخطرة ، وكـان أحد أولاده الـــبررة يلازمه ليل نهـــار ، بينما تخلّى عنه العـاقّ ومن يشــبه العـاقّ .. فكـان عنـدما يصحو يذكّره ولده بوصيّته ، ومــاذا يريد أن يقــدّم لنفسه من أمواله وملايينه .. فكــان يغضب من ولـــده ، ويقـــول له : " ما بـــدّي أمـــوت ! ما بـــدّي أمـــوت! " ووصل إلى اللحظـــات الأخـــيرة من العمر فأخذ ولـــده يـذكّره بالشـهادة برفق ، ويـذكرها أمامه ، فكـــان ينظر إليه بغضب ، ويقـــول له : " **ما بدّي أموت ! ما بدّي أموت !** " ونزعت منه الروح وهو يقول : " **ما بدّي أموت ! ما بدّي أموت !** " .

13 * لاهث بسيّارته .. يمشي بها مرحاً ..

واحزناه ! مـاذا جـنى البعيد عن ربّه .؟! إنّه لم يجنِ إلاّ على نفسه .!

كان يعبث بسيّارته الجديدة يمنة ويسرة ، ويــرعب البعيــدين قبل القريــبين ، حتّى كــانت الكارثــة .. وما أكــثر أمثالها .! فهل من مدّكر .؟!

وهل رأيت أسفه ممّن كان الحديد أعــزّ عليه من نفسه .. كـــانت جراحه تـــنزف بشــدّة .. وروحه تــنزع ، وهو بين الحيــاة والمـــوت ، ويقـــول لمن يريد إســعافه : السيّارة .! السيّارة .! ماذا جـرى للسـيّارة .؟

فثــار عليه بعض من حوله ، وقــال له : السيّارة بستّين داهية ! روحك أهمّ يـا بـنيّ .. فأخذ يصيح بأعلى صـوته ويئنّ : آه يا أمّي .. السـيّارة ! آه يا أمّي .. الســيّارة ! ولم تصل ســيّارة الإســعاف إلاّ بعد أن انقطع

صوته ، وهدأت نفسه ! لقد فارق الحيــاة ! ولم يتمتّع بهذه السيّارة ســوى بضـعة أيّـام .!

14 * راقصــون لاهــون .. والمــوت يرقبهم ..

كـانت أمنيــةً له أن يــرقص في عــرس صديقه فرحــاً به ، بعد أن تـأخّر زواجه كـلّ هذه المدّة .. وكلّما رآه أعلن له هذا الوعد الذي يراه ديناً عليه .. وفي ليلة الفرح كان كثـــير من الأصـــدقاء لا يهـــدءون .. إنّهم يظهرون فرحاً صادقاً ، لمن وقف بجـانبهم في كلّ مناسبة .. واشتدّ الضــجيج ، وعلت أصوات الغناء والفرح ، وكان أبو مختار في وسط الحلقة ، يقفز عن الأرض بحركـــات بهـــرت أنظـــار من حوله .. وفجـــأة وقف ودارت به الأرض ، أو الـدنيا بما فيها .. ولم يدر كثير ممّن حوله ما عرض له .. وما هي إلاّ لحظات حتّى وقع مغشيّاً عليه .. ووقف الراقصون .! وتجمّع الناس عليه .. واقترب منه طــبيب كـان أحد الحاضــرين .. وجسّ

نبضه ، واقــترب من صــدره .. وما هي إلاّ لحظــات حتّى أعلن للحاضــرين أنّ الرجل قد مات .!

15 * المغنون الماجنون .. ثمّ جـاءتهم شجرة الموت تسعى ..

ها قد أعلنت الســماء يومــاً من أيّــام غضـــبها المـــدمّرة .. فالعواصف تزمجر ، كقطيع من الأسد الغضــــاب .. والأمطـــار تنهمر كأفواه مضخّات المياه ، تملأ سيولها كــلّ جنبــات الطــرق ، وتحيلها إلى أنهــار جارية .. وحـذّرت الإذاعة المحلّيّة النـاس ألاّ يــبرحوا بيــوتهم .. وليس ثمّت من ذي عقل إلاّ وقد عاش سـاعات ضـعفه ، وتـذكّر ربّه في تلك الســــــاعات المخيفة ، واعتصم بمنزله ، يســمع آخر أخبــار تلك العاصــفة الغضوب .. ومسيرتها الهائجة ..

ولكنّ قوماً قد ولعت بالعبث نفوسهم ، كانوا قد أعلنوا القيـام بحفلة غنـاء صـاخب على طريقتهم التي ارتضـوها ، على قارعة الطريق ، وفي الســــاحات العامّة .. إنّهم

يشــكّلون جمعيّة عابثة لا تعــرف إلاّ اللهو والمجون ، وأن تجتذب إليها كلّ يومٍ مزيداً من الأعضاء والأنصار ..

ولكنّ هذا اليوم لا يسمح لهم أن ينفّذوا رغبتهم حيث يريــــدون ، فــــاقترح عليهم زعيمهم أن يقيمــوا احتفــالهم في الهــواء الطلق ، ليتحدّوا غضـبة الطبيعة بـزعمهم ، وليكون من أمرهم نبأ يسير بحديثه النــاس .. وأعجبـــوا بـــالفكرة ، وزيّن لهم ســـوء أعمـالهم ، وتجمّعـوا حيث أرادوا ، وسـاروا إلى ضـــاحية من ضـــــواحي بـــاريس .. واســتظلّوا من الــريح والأمطــار بشــجرة ضـــخمة وارفة الظلال .. وكـــان يومـــاً لا عاصم فيه من أمر الله إلاّ من رحم ، وبينما هم في لهـوهم ومجـونهم زمجـرت ريـاح العاصـفة زمجـرة هائجة .. فـاقتلعت الشـجرة الـتي تظلّهم ، وكأنّها نبتة صـغيرة يقتلعها طفل صغير ، وحملتها فـوق رءوس القوم ، ولو ثبتـوا في مكـانهم لكـان بلاؤها عليهم محـــدوداً ، ولكنّهم هـــاجوا وهربـــوا

أمامها ، وكــأنّهم يريــدون أن يكونــوا في مرماها ، فوقعت عليهم ، فكـانت أغصـانها ذات الظلال الوارفة بـالأمس كأنّها مخـالب الوحـوش الكاسـرة وأنيابها ، فما نجا منهم إلاّ جريحٌ كسيرـ ، والبقيّة افترسها الموت ، وباءت بسوء المصيرـ ..

16 * والله لا أزال أغنّي حتّى ينقطع هذا النفس .!

كان صـوته للنـاس فتنة ، وشخصه فتنة أكبر ، وكـان مفتونـاً بنفسه على قـدر فتنة الناس به ، بل بصـورة أكـبر .. وكلّما حقّق في عمله ما يسمّيه إنجازاً كـانت الفتنة به أكبر ، وكـان وراء تلك الفتنة أبـواب للشـرّ والفســـاد أعظم ، وأدهى وأمـــرّ .. حتّى تهـالكت قــواه ، وأصــبح وهو في ســنّ الأربعين ، وكأنّه قد تجــــاوز الســـتّين .. واجتمعت كلمة الأطبّاء عليه أن لابـدّ له من التخفيف عن نفسه .. فـــأبى عليه غـــروره وكبريـاؤه ، فتحـدّى أطبّـاءه .! وقـال لهم : والله لا أزال أغنّي حتّى ينقطع هـذا النفس

.! وكـان يظنّها كلمة ، ليس لها من تبعة .!
ومضى في لجّة الهوى .. بل تمـادى أكـثر ، وكأنّه يريد أن يغتنم ما تبقّى من كــــأس العمر ، ولو بمثل الانتحار أو هو إليه أقـرب ..

ورتّب حفلة صـــاخبة لاهبة ، كـــان ما وراءها أسوأ ممّا قبلها .. ودعا لها من كبـار القـوم ما أغـرى العامّة بحضـورها .. ودعا كـلّ من يخطر له على بـال ، إنّه يريد أن يتحـدّث بـذكره الركبـان ، وأعـدّ لكـلّ أمر عدّته ، ووقف على خشبة المسـرح ، وبـدأ بداية أخذت ألباب الحاضرين ، وثنّى بمثلها ، وهاج الناس وماجوا .. وصـاح صـوتاً كـان الأخير في حياته ، ووقع على الأرض ميتاً .. لقد انقطع نَفَسُه ، وبـرّ بقسـمه .. ويمـوت المرء على ما عاش عليه ..

17 * والهاتف الجوّال على أذنه ..

أقـام الـدنيا وأقعـدها أن يملك هاتفـاً جوّالاً كما يملك زملاؤه ، وهـدّد أهله بـترك الدراسة ، وتـرك الـبيت .. ورأى أبـوه أنّ

أهــون الشــرّين أن يلبّي له طلبه .. وملك الجــوّال ، وكــان له ما أراد ، ولكنّه ضــيّع دراسـته ، وهجر الـبيت فلم يعد يـراه أهله إلاّ لماماً .. وكان عندما يذكّر بكلامه يقـول لأهله : " إذا أردتّم منّي شيئاً فاتّصلوا على الجوّال .. " وكثيراً ما يرى رقم البيت على شاشة الجـــوّال فلا يبـــالي بمن اتّصل ، ولتكن أمّه المسكينة أو أبـوه ، ويعتـذر بعد ذلك بـأنّ الجـوّال لم يكن معه .. كـان في السيّارة .! كان بعيداً عنه .!

وتغيّــرت أطــوار ســعدٍ ، واضــطربت أحواله ، فربّما جلس في الســـيّارة تحت المـــنزل ســـاعات والجـــوّال على أذنه ، وعندما يدخل البيت تراه عصـبيّ المـزاج ، نـــابي الألفـــاظ مع إخوته وأخواته ، وربّما تمـادى به الأمر إلى والدته ، فسـمعت منه ما تكـــره ، ولكنّها لا تســـمعه إلاّ دعواتها الصـــالحة .. ونفر منه إخوته وتحاشـــوا الحديث معه ، ولو بكلمة ..

وطال به الأمر على هـذا الحـال ، وجـاء الخــبر إلى أهله أنّ له رفــاق ســوء ، وأنّ همّهم أن يصطادوا الفتيات عن طريق هـذا الجوّال .. ثمّ نما خبر آخر أنّه قد هوي فتاة لجــيرانهم فهو يتحــدّث معها ليل نهــار .. وثارت ثائرة والد الفتاة عندما بلغه الخبر ، ولكن بعد أن تمادى الطرفان فيما لا تحمد عقبــاه .. وفي ســاعة متــأخّرة من بعض الليالي سـمع النـاس صـوت طلقـات ناريّة قريبة ، ففــزع النــاس ينظــرون من نوافذ بيوتهم ، ومنهم من خرج يستطلع الخــبر .. كــان والد الفتــاة يقتل ســعداً ، وهو في سيّارته ، والجوّال على أذنه يحدّث الفتاة ، ويبثّها غرامه وأشجانه .!

فهل كــانت ســعادته في جوّاله .؟ لقد دفع حياته ثمن خيانته لجاره .!

18 * كان عوناً للظالم ، وسـيفاً على المظلوم ..

ما ضـرّ الإنسـان لو أمر بالقسط ، ودعا إلى الخـــير ، وكـــان عونـــاً على العـــدل والفضل .؟! أيظنّ أنّ رزقه ينقص .؟! أم يظنّ أنّه يحـــــرم من عمله .؟! أم يظنّ أنّه يقــدّم خــيراً لمن ولي أمــره .؟! وما ضــرّ الإنسان لو وضع ميزان التعامل مع النــاس ألاّ يحبّ لهم إلاّ ما يحبّ لنفسه ، ولا يكره لهم إلاّ ما يكــره لها .؟! إذن لنــال ســعادة الدنيا ، ورضوان الله في الآخرة ..

كان أبو ســليمان عـاملاً كثـيراً ما شــكا للناس ظلم من فوقه ، وتقلّبت به الأيّــام ، وتــرقّى في مهامّه حتّى أصــبح رئيســاً على العمّــال ، يـــأمر وينهى ، ويعـــاقب ويعفو ، وأصبح من دونه يشكو ظلمه أكثر ممّا كان يشــكو ظلم رءســائه .. وتــرقّى في مهامّه حتّى أصــبح معاونــاً للــرئيس ، ليس فوقه أحد من البشر ســوى الــرئيس .. فاشـــتدّ على النــاس ظلمه وبغيه ، وشــكا النــاس أمـــرهم إلى الــرئيس ، فلم يجـــدوا أذنـــاً

صاغية ، أو رحمةً تخفّف شيئاً من آلامهم ، وبلغته شـكواهم ، فكـاد من اشـتكاه حتّى فصـله من عمله .. فاسـتعان النـاس عليه بسـهام السـحر ، فكم من زوجة صـابرة رفعت يـديها تـدعو على من ظلم زوجها ، ورمـاه إلى البطالة بلا عمل .! وكم من أمّ صـالحة ، تـرى ولـدها قد سـدّت في وجهه الأبواب بعدما فصله هذا الظـالم من عمله .! وكم من شـابّ كـان يعـدّ عدّته ليحصن نفسه ، ففقد عمله ، فأخذ يبحث في كـلّ اتّجـاه ، وفـرص العمل تلـوح في وجهه ثمّ تختفي ، وعنـدما يطلب أحـدهم منه تزكيـةً ، يقول له بكلّ صلف : لو كنّا نزكّيك لتركناك عندنا ..

وما أجهل الإنسـان وأغبـاه ، عنـدما لا يعلم أنّ هـذه الـدنيا قلّب بأهلها .! فـبين عشيّة وضحاها حلّ المـرض بجسد الظـالم من حيث لا يحتسب ، وطـرح في الفـراش يئنّ ، ذلك الجسد الـذي كـان يـزأر على

الناس ، ويهـدر ، ويـرعب العمّـال ، ويجعل الوجوه عندما تراه تكفهرّ ..

وكـان أوّل العـبر أن أرسل أبو سـليمان يطلب تكـــاليف التـــداوي والنـــوم في المستشفى ، فجاءه أحد الموظّفين ليقول له : إنّ الـرئيس قد أمر بصـرف مئة ريـال لك بـدل التـداوي .. فقـال : وما تفعل معي مئة ريـال .؟ لقد صـرفت حتّى الآن أكـثر من ثلاثة آلاف ريـــال .؟! فقـــال له : هـــذا ما تستحقّ حسب النظام .! وكانت تلك كلمته التي ينـاطح النـاس بها في كـلّ مناسـبة .! بل وقبل أيّـــام من مرضه .. قالها لهـــذا الموظّف نفسه ، عنـدما طلب منه تكـاليف العلاج لوالدته .! فقـال له الموظّف اليـوم : يا أستاذ ! كما تكيل تكتال .!

وجمع بعض المقرّبين منه العمّال وقـال لهم : إنّ حقّـاً علينا أن نــزور أبا سـليمان فقد نقل إلى المستشـــفى ، وهو في حالة مرضيّة ونفسـيّة صـعبة ، وزيـارة المـريض فيها أجر عظيم .! فـوجم القـوم ولم يتكلّم

أحد ! ومضت أيّـام ولم يـزره أحد .! وعـاد صـــاحبه يـــذكّر النـــاس بزيارته ، وأخذ يسـتعطفهم بكلماته ، فتجـرّأ بعض العمّـال وقـــال له : يا فلان ! إنّ أبا ســـليمان لم يـــترك لنفسه صـــاحباً ، وليس من عـــادة الناس أن يزوروا من لا يحبّون .!

وطال مرضه واشتدّ ، ولم ير تلك الأيّام الصــعبة في حياته من يحمل له الــودّ ، أو يسمعه كلمة مواساة ، وغـادر الـدنيا ، وليس حوله أحد ســـــوى بعض قرابته .. وتنفّس خلق كثير الصعداء لموته .!

وكان كلّ من عرفه يقول : لقد أصــابته دعـوة المظلـومين .. فمـاذا أخذ من هـذه الدنيا .؟! وماذا تَرك .؟!

19 * باعت شرفها بكلمات أو دريهمات ..

في غفلة من أهلهَا أو وإهمال ، أنشـأت علاقـات صـداقةٍ كما تـدّعي مع شـابّ ، ثمّ تبعتها مع آخر ، وتمـادت تلك العلاقـات منْ حـديث على الهـاتف إلى لقـاءٍ في السـوق

والحديقة ، إلى لقــاءٍ على شــاطئ البحر ، كانَ قصيراً ثمّ طال وطـال ، حتّى امتـدّ إلى ساعات .. وكان الرقيبُ السائق المراقب ، ثمّ حاول هـؤلاء الأصـدقاء أن يكـون اللقـاء بغير رقيب ، فعرضوا عليها أن تركب سيّارة أحـدهم ، فلا حاجة لها إلى السـائق ! ولكن ما يكون العذر عند الأهل إن علمـوا .؟ إنّك يمكنك إرسال السائق لشراء بعض اللوازم من مركز التســـوّق ، ثمّ يعـــود إليك بعد ساعة ، لتعودي معه إلى الــبيت .! ونجحت الحيلة أيّامـــــاً .. كــــانت تعيش خلالها مع الأحلام الورديّة ، والكلمـــات المعســـولة ، وينفق عليها هـــؤلاء الرفـــاق الأصــدقاء ! الأوفيـاء بسَخاء .. لقد وجـدت ذاتها معهم ، كما كـــانت تقـــول لهم ، وأحسّـــت بكيانها مخلوقةً ذات حرّيّة وكرامةٍ .! وكـانت تعـود مع السائق إلى الـبيت كـلّ يـوم ، فهي مع المُدرِّسة يومـاً ، وعند رفيقاتها يومـاً آخر ، وفي مكتبة الجامعة أحيانــاً ، ولكن ما بالها تتفنّن بالملابس والزينات وأنواع العطورات

.! لا أحد يســـأل ، ولا أحد يستشـــكل ، ولا أحد يـــدري .! إلاّ الســـائق .. ولكنّ هـــذا الســائق المرافق أشــبه بالدابّة العجمــاء ، أينما توجّهها تتوجّه معك .! لا يهمّها إلاّ أن تَنــال قســطها من العلف ، وقسْــطها من الراحة ، وحظّها من الاسْــتجمام أحيانــاً .. وفي ليلة لم تشـــــــبه مثيلاتها ، ألقى بها السائق على شـاطئ البحر ، وأرسـلته إلى مركز بعيد للتســـوّق ، ليشـــتري لها بعض المأكولات ، ويعـود بعد سـاعتين إلى المكـان نفسه .. فعــاد ولم يجــدها ، وانتظر وانتظر .! حتّى عيل صـــــبره ، فعـــــاد إلى أهلها ، ليخبرهم بما حدث .! فجنّ جنونهم ! وطـار صــوابهم إن كــان لهم صــواب .! وبلّغــوا الأمن بما جــرى ، واســتنفرت قــوى الأمن للبحث في كــلّ مكــان ، وعــثر عليها جثّة ممزّقة بعد أيّـــــام ، قد ولغ الـــــذئاب في عرضــها ، ثمّ نهشــوا لحمها ، وتركوها في العراء للكلاب .! لقد باعت شرفها بكلمات

ودريهمات ، فمـاذا كسـبت .؟! ومـاذا جنت .؟

20 * ملأ الأرض إثمـاً وظلمـاً ، وبغيـاً وفساداً ..

يا ابن آدم ! ما ينفعك التصنّع للناس إذا كان القلب خراباً ، وزرعُ حقلِك يباباً .؟! أتظنّ زينة الظاهر تغنيك عن عمران خراب الباطن .؟! أو أنّ خداع الناس ينجيك عند ربّ الناس .؟! إنّ في حفرة القبر التي تدخلها وحدَك ، ولا يرضى أن يدخلها معك أقربُ الناس إليك ، وأحبّك عنده .. إنّ فيها لعبرةً لك وموعظة ، إنّها تقول لكَ كلّ يوم لوْ عقلت : { إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ } مريم .

عرف الحياةَ أبو حطّاب لَهواً ولعباً ، وضحكاً وهزلاً ، وامتدّ به افتتانُ الناس وإعجابهم ، وتزلّفهم ونفاقهم ، ليتجرّأ أكثر على الظلم والإثم ، فوجد في الناس من يقول له في كلّ موقف : " **أحسنت**

وأصبت .! ونعْمَ ما فعلْتَ ! " فتمادى في الطغْيان والشرّ ، وحسب أنّ الزيف يغني عن النصح ، وأنّ الباطل يضارع الحقّ .. واستمرّت به الحياة على هذه الصورة ، حتّى لم يعد في نفسه ما يستنكر منها ، فرأى المعروفَ منكراً ، والمنكرَ معروفاً ، وظنّ الناس كلّهم على صورة ما هو عليه ، فساء ظنّه بكلّ الناس كما ساءت أفعاله ، وأضمر الشرّ لهم وأراده ، لأنّهم لا يستحقّون في نظره سواه .. وتقلّبت به الأيّام وهو يستَمرئ الإثم والبغي ، ويرى أنّه عملةٌ صعبة ، وبضاعةٌ رائجة ، لا يحسن التعامل بهما كلّ إنسان .. وبنى لنفسه من وراء ذلك عزّاً من الأوهام ، وجبالاً من السراب كالسحاب .. وجمع حوله من رعاع الناس المنتفعين ما زاده عتوّاً وغروراً .. فهو الآمر لهم الناهي ، السيّد المطاع .. والآخرون يأتون رغباً ورهباً ، وعلى أسوأ احتمال بالدرهم والدينار .. ولكنّ القدرَ

كان له بالمرصاد .. لقد تمادى به البغي
حتّى قرّر التجارة بأنواع المخدّرات .. وأيّ
خطرٍ فيما يفعل .؟! فالمال في نظره
يذلّل له الصِّعاب ، ويليّن الصلاب .. ودخلَ
المتاهةَ ، وزيّنتها له الشرَاهة ، وزاد عزمَه
على الإصرار ، ما جنى من سراب الأموال
، وفيما هو في سكرةٍ لا يصحو ، وفرحٍ
بالأموال بين يديه ، يعدّها ولا يحصيها .. إذ
جاءه عدد لا يقدّر من رجال الأمن ،
فأحاطوا به من كلّ جانب ، وهو بين
عصابة من أتباعه المجْرِمين .. فلم
يضطرب أوّل الأمر بل قَالَ لهم : أينَ
كبِيركم .؟ فأشاروا إليهِ ، فاقترب منه ،
وهمس في إحدى أذنيه : " دونك ما شئت
من المال .. بل خذ هذا المال الذي بين
يدي كلّه ، وامضِ مع جماعتك ، كأنّك لم تر
، ولم تسمع .! " فصرخ في وجهه ذلك
الرجل الشهم ، القويّ الأمين : أتساومني
على أمانتي .؟! أتشتري ديني وضميري
أيّها الوغد .؟! والله إنّ أموالك الحرام لا

تساوي عندي صفعة على وجهك واحدة .. وصفعه على وجهه ، وهو يزمجر كالأسد الغاضب .. فأمسك به الجند من كلّ جانب ، يعلو وجهه الذلّ والهوان ، واقتيد إلى حيث يأوي المجرمون .. وحجر القضاء على التصرّف بأمواله أوّل ما فعل .. ثمّ حجزت أمواله إلى أن يقضى في أمره ما يقضى .. واعترف الرجل بجرائمه بإرادته ، كما أغراه محاميه رجاء التخفيف عنه ، وما هي إلاّ أيّامٌ معدودة حتّى كان القضاء الحازم الإعدام له مع مصادرة جميع أمواله ، فكان مثله كمثل قارون : { فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ } القصص .

21 * بينما كــان يمكر بأهل الحــقّ ، ويخطّط ويدبّر ..

خـــــــرج من مكتبه ، وهو يرعد ويزبد ، ويهـــدّد ويتوعّد : من ســـمح لكم بـــإطلاق هؤلاء المجرمين .؟! من سمح لكم بإطلاق هــؤلاء المجــرمين .؟! ســأعلّمهم وأعلّمكم

درسـاً لن تنسـوه جميعـاً : لو سـمح لكم السـيّد الـوزير فلن تفعلـوا شـيئاً حتّى تسمعوا توجيهـاتي .! سـتكونون مكـانهم يا ... لا أحد يعطّل إرادتي .. لو جـــــاء ... لوضعته معكم .! سترون منّي ما لا يسرّكم ! وما لا تعرفون .!

وارتعـدت فـرائص الضـبّاط الثلاثة إلاّ واحداً ، قال لهم بعد أن اطمـأنّ إلى بعـده عن المكتب : قبله فرعـون قـال : " أنا ربّكم الأعلى .! " الله أكـبر منه وأجـلّ .! ليلة سكر تعميه ، وتنسيه كلّ ما قـال .. لو ترونه في بيته .. إنّه أقلّ من دجاجة جربـاء .! وضحك وأضحك من معه ، ولكنّ ضـحكة زملائه كـانت فـاترة يعبث بها الخـوف من جميع أطرافها ..

ومضى الطاغية الصـــغير ، وامتطى صـهوة سـيّارته ، وسـاق بسـرعة هوجـاء ، تـدلّ على مبلغ غضـبه وتـوتّره .. وكـان

يخطّط ، والأفكار تنثال عليه من كلّ جانب : كيف يؤدّب هؤلاء الضبّاط الـذين تجـاوزوا حـدّهم ، ولم يسـتجيبوا لتعليماته الصـريحة .؟ هل يستطيع أحدهم أن يستنصر بـالوزير ، فيمنعه من الانتقام منهم .؟! ومن الوزير إنّه يخاف منه ويحسب له ألف حساب .!

كـــــان الطريق من مبــــنى إدارته إلى الشــارع العــامّ يزيد عن ثلاثة أميــال ، وهو طريق ضــيّق ، ذو اتّجــاه واحد .. وكــانت سرعته فيه تزداد كلّما ازداد تـوتّره ، وبينما هو مسـتَغرَق في أفكـاره وسـورة غضـبه ، كـان قد قـارب الشـارع العـامّ ، وهو بتلك الســرعة المجنونة ، وإذ بشــاحنة تســحب وراءها مقطورة ، قد امتلأتا بحمولة ثقيلة ، ولكنّها مسرعة سرعة لا تتناسب مع حملها .. وتأتي بين يديها سـيّارة العميد الطاغية ، فتعجن لحمه بحديـدها ، وتسـحق حديـدها تحت قــــدميها .. وتنتهي قصّــــة طويلة ، لخرافة طاغية صـــــغير .. في لحظة من

لحظات القدر .! وزاد في عـبرة الـدهر أنّ اللعنات تشيّعه كلّما ذكر .!

إنّه مغـــرور أحمق ، تحـــدّى ربّه بزعمه فكيف كـــانت عاقبته .؟ لقد كتب الله عليه الموت شرّ ميتة ، فهل من مدّكر .؟!

22 * مات والمصحف بين يديه :

هل ســـــمعتم بمن يطلب المـــــوت ، والمــوت يفــرّ منه .؟! إنّه المــؤمن يطلب المـوت في مظـانّ مرضـاة الله ومحابّه .. وهو في فسـحة من الأجل ، فيفـرّ المـوت منه ، كما يفرّ الناس من الموت ، وهيهـات لهم .! منذ سـبعين سـنة والشـيخ محمـود يطلب المـــوت في مظانّه .! ويـــأبى عليه الموت ، ولا يسـتجيب له .. فنعم الحـارس الأجل .. ولا نـامت أعين الجبنـاء .! وها هو اليـوم ، وقد تجـاوز التسـعين من العمر هو أزهد ما يكون في الحياة ، وهي تبدو أرغب ما تكـون فيه .! فـإلى مـتى يا ربّ .؟ ولم يعد له من أنيس في الحياة سوى كتاب الله .. كان يقضي كـلّ يـوم سـاعات أمـام كتـاب

الله ، لا يملّ من تلاوته وتدبّره .. وسـاعات أخــرى كـانت مع كتب العلم .. إنّه يريد أن يـــــذاكر العلم ، ولا ينقطع عنه .. ولعلّه أن يحشر مع أهل العلم يوم القيامة .! وصـلّى الفجر بعض الأيّـام ، وتلا ما اعتـاد عليه من الأذكار والأوراد ، ثمّ بـدأ بتلاوة القـرآن من المصــحف ، فتلا ســورة يس ، ووقف عند آخرها .. وصعدت الروح إلى بارئها ..

23 * هكذا مات جدّي .!

حـــدّثني والـــدي رحمه الله عن جـــدّي الشيخ حمّـادة رحمه الله كيف كـانت وفاته فقـــال : إنّ والدته حدّثته وكـــانت ملازمة لوالــده في مرضه ، أنّه قــام إلى المــرآة صـبيحة اليـوم الـذي تـوفّي فيه ، فشـذّب لحيته ، وأخذ من شـــاربه ، وقـــال لزوجته ضعي ثياب صـلاتك على رأسك ألا تعلمـون أنّ الضـيوف سـيأتون بعد قليل ، ثمّ جلس في سريره ، وكانت زوجته تتلو عليه ختمة القــرآن ، فعنـدما تلت ســورة " النـاس " سمعته يقول : الله .. وفارق الحياة ..

24 * كيف فارق شيخنا الحياة .؟

فاجأ المــرض العضــال أســتاذنا الشــيخ أحمد عزّ الــدين البيــانونيّ ، كما فاجأ أهله وتلامذته ومحبّيه ، وكــان في غاية الصــحّة والعافية والنشــــاط ، وهنا يتجلّى إيمـــــان المــؤمن بالله تعــالى ورضــاه وتســليمه .. فاستقبل الشيخ ذلك بغاية التسليم والرضا عن ربّه ، واشــتدّت عليه وطــأة الآلام حتّى قـــال أطبّـــاؤه : " لو يعلم أعــــداؤه بآلامه لرحموه وأشفقوا عليه " ، فصــبر واحتسب ، ولم يســـمع منه شـــيء من الشـــكوى أو الضــجر ، واختفى صــوته ، فقــال لنا ولمن كان يزوره من تلامذته ومحبّيه : " إنّ الله تعالى يريد منّي ألاّ يســمع صــوتي أحد .. " وكان رحمه الله يصبّر من جــاء لزيارته من تلامذته ومحبّيه .. وســـــافر به أبنـــاؤه في رحلة علاج دامت أســـابيع ، ثمّ عـــاد إلينا ، وقد اختفى صــوته إلاّ شــيئاً يســيراً ، فما رأينا منه رحمه الله إلاّ التســــــليم والرضا عن ربّه تعالى ، واستقبل الزائرين المحبّين ، وهو صامت لا يتكلّم ، ولم يكن من عادته ذلك .. فشـــــقّ الأمر عليه وعلى زائريه ..

فـأملى على بعض أولاده الكلمـات التالية ، لتقرأ على زائريه أثناء زيارته :

" بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، يحبّ الشيخ أن يتحـــدّث إليكم بعد هــذا الغيــاب الطويل ، وتشـــقّ عليه كـــثرة الكلام ، فهو يحبّ أن يســــمعكم بعض ما يحبّ أن يتحـــــدّث به إليكم :

1 ـ قال الله تعـالى : { ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ٥٤ } الروم .

ومن حكمة ذلك : أنّ الإنســان الغفــول الجهــول ، وهو في حــال القــوّة والصــحّة والغنى إذا دعا الله تعـالى لا يكـون دعـاؤه من أعمـاق القلب ، كما لو دعـاه في حـال الضـــــعف والعلّة ، والألم والفقر .. والله تعـالى خلق الإنســان لعبوديّته ، ولا تتحقّق العبوديّة الصادقة إلاّ بالضراعة والدعاء من أعمـــاق القلب ، بقـــول العبد : يا ربّ ! يا ربّ !

والله تعالى حكيم رحيم ، يـردّ العبد في شــيخوخته وهرمه إلى ضــعفه ، فيلجأ إلى الله بضراعةٍ صـادقة ، وعبوديّة حقّة ، وفي الحــديث الشــريف : (إذا أحبّ الله عبــداً ابتلاه ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط) . ونعوذ بالله من عبدٍ أحمـقَ جاهل ، لا يرضى عن ربّه ، فيما يقــــدّره ويقضـــيه ، وهو الإله الحكيم الكـــريم ، الرءوف الرحيم .؟!

2 ـ وبعد هـــذا كلّه فالعبد ملك لله ، والمالك يتصـــرّف في ملكه بما يشـــاء ، ولهذا بشّر الله الصابرين ووعـدهم بـالأجر الوفير ، الـذى لم يبشّـر به سـواهم ، قـال تعالى : {.. وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ } البقرة ، {.. إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ } الزمر ، وذكر الله الصبر في القرآن الكـريم بين الأمر به ، والحضّ عليه في أكثر من ستّين مرّة ..

3 ـ مظــاهر العبوديّة لله كثــيرة ، من صلاة وصيام وإنفـاقٍ وحجّ ، وتلاوة للقــرآن

الكريم .. ولكن في هذه كلّها حـظّ للنفس ، يتلذّذ المتعبّد بعبادته ، والذاكر بذكره .. أمّا البلاء والآلام والأسـقام إذا نـزلت بالعبد شديدة مؤلمة ، فلا حظّ للنفس فيها ، وإنّه يضـرع إلى الله تعـالى في كشف البلاء ، وضـراعته هـذه في دقـائق أكـثر تطهـيراً لنفسه ، ورفعاً في درجاته من كثـير صـلاة وصيام ونحو ذلك ..

4 ـ إذا عرف العبد هذا عاش راضياً عن ربّه سـبحانه وتعـالى ، في الفقر والغـنى ، والقـوّة والضـعف ، والصـحّة والمـرض ، واللذّة والألم .

نسـأل الله تعـالى العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة " .

وعنـدما حضـرت شـيخنا الشـيخ أحمد الوفاة ، وكـان طيلة مرضه ، لا يـترك أدبـاً من آداب الشـريعة ، أو سـنّة من سـنن النبيّ .. وجـاء يـوم الجمعة السـابع عشر من ذي الحجة من عام /1395/ هـ ، صـلى الشـيخ صـلاة الفجر فى فراشه ، ثمّ

اضـطجع ونـام قليلاً ، ثم اسـتيقظ ضـحىً وجلس ، ثم جاءته حالة غريبة ، فوقف أهله وأولاده مـــــــذهولين ، إذ انبعثت من داخل جوفه كلمة : " الله ! **الله !** " ، بصوت قوي مسموع ، وكان صوته مختفيـاً مدة مرضه ، لا تسمع منه إلا همساً خفيفاً ، فما زال يكــــرر هــــذه الكلمة العظيمة الجليلة ، بمثل هـذا الصـوت ، ويتحـرك بها صـدره بقـوة ، أكـثر من نصف سـاعة ، ثم انقطع صــوته فجــأة ، وســكنت أطرافه ، وفاضت روحه إلى بارئها . رحمه الله وأجـزل مثوبته .. وهكـذا يكـرم الله تعـالى الصالحين من عباده ، فما عاشوا عليه في حيــاتهم ، من أحــوال إيمانيّة ، ســلوكيّة وقلبيّة ، وكــانت عنــوان حيــاتهم ، وســرّ ســعادتهم وطمــأنينتهم تختم به حيــاتهم ، ليقــــدموا على ربّهم بأحسن الأعمــــال والأحــوال ، نســأل الله تعــالى أن يكرمنا بــذلك بمحض فضــله وكرمه .. إنّه ســميع مجيب ، وهو أكرم مسئول .

25 * مات ساجداً يدعو ربّه ..

كــان كثــيراً ما يــدعو ربّه أن يمــوت ســاجداً .. وألف أولاده منه هــذه الــدعوة فلم تعد تســترعي اهتمــامهم .. وكــان قد اعتــاد أن يســتيقظ قبل الفجر بســاعتين يتوضّــأ ، ويصــلّي ما تيسّــر له ، ثمّ يضع أمامه المصــحف يتلو ويــدعو عند أكــثر ما يتلو من الآيــات ، فــإذا بقي لأذان الفجر نصف ســاعةٍ تقريبــاً ، قــام وتوجّه إلى المســجد ليصــلّي الفجر ، ويمكث في المسـجد إلى شـروق الشـمس ، ثمّ يعـود إلى بيته ..

وفي هذا اليوم اسـتيقظ كعادته ، ولكنّه أيقظ العجــــوز ، وطلب منها أن تتّصل بأولادها جميعاً ليـودّعهم .! فدهشت لقوله وفـوجئت ، ولكنّها لم تملك أمـام إصـراره سـوى أن تسـتجيب له ، وأخـذت الهـاتف ، وبـدأت تتّصل بـأولادهم جميعـاً وتـوقظهم على خـبر مفـاجئ أنّ والـدهم يطلب منهم الحضــور إليه .. بينما أبو قائد توضّــأ وأخذ

يصلّي ركعتين بعد ركعـتين ، وبعد التسـليم من كـلّ ركعـتين كـان يسـأل زوجته هل حضر الأولاد .. وفي ســجود الركعة الثامنة كـانت الضـجّة تملأ بهو المـنزل ، فخـرجت الأمّ لاسـتقبال من حضر من أولادها .. وانشـغلت بالسـلام عليهم دقـائق ، ثمّ دخل الجميع إلى بيت الوالد ، فرأته على حالته من السجود التي كان عليها ، فارتـابت في الأمر ، واقتربت منه ، ومسّـت سـاقه لتجد بـرد المـوت قد سـكن جسـده .. فصـاحت بغير شعور منها : " **لقد مات سـاجداً .! لقد مات ساجداً .!** " .

26 * بعد أيّام من توبته ..

كان شـابّاً قد **أَسْـرَف عَلَى نفسِـه** ، وابتعد عن ربّه .. فلم يـدع بابـاً من أبـواب المـآثم إلاّ ولجه .. ولكنّ فطرته لم تـزل تحمل الكثـير من الصـفاء والإشـراق ، سـاقته الأقـدار إلى سـعادته ، أو سـاقت السعادة إلى سمعه .. فاستمع إلى شـريط مسجل ، يفسّر فيه بعض الدعاة قـول الله

تعــــــالى : { ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ } الزمر .

فــــرقّ قلبه ، وخشـــعت لله جوارحه ، ودمعت عينـــاه ، وأحسّ بالحيـــاء من الله تعــالى يملك عليه مشــاعره ، كيف يعصي الله ، ويلجّ في العصيان ، وكلّ نعمة يتقلّب فيها هي من فضل الله عليه وكرمه .؟! وسـمع الشـريط مـرّة أخـرى .. وكـان في ختامه : " أقبل يا أخي على الكـــــريم ولا تـــتردّد ! أقبل إلى أرحم الـــراحمين ! إلى من هو أرحم بنا من آبائنا وأمّهاتنا ! ومن

النـــاس أجمعين ! هل أنت في غـــنى عن نعمه ؟ هل أنت في غــنى عن رحمته ؟ إن كنت تعصـــيه في جـــراءة ، وتصـــرّ على عصـيانه ، ولا تبـالي بهـذه النـذر ، فقل له بمثل جراءتك على المعاصي : " لا حاجة لي بنعمك ، ولا حاجة لي برحمتك فخـــذها منّي .. ولا تــدع لي منها شــيئاً .. " أعــوذ بالله من الشـيطان الـرجيم ، لا يقـول ذلك الاّ جاحد كافر .. وأنت يا أخي ممّن ﴿ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ﴾ .. أقبل على الله ، لتكون حبيب الله ، فالتائب حبيب الله .. وإلاّ فإنّ الأجل إذا حلّ بك في ليل أو نهـــار ، فلا ينفعك عندئذ نــــدم ولا اعتذار ، فمـدّ يـدك أخي ولا تـتردّد ، وعاهد الله منذ هـــــــذه اللحظة ، وكن رجلاً .. فالرجال بحقّ هم الأتقياء ، الأوفياء بالعهود ، الــذين يغلبــون الشــيطان ولا يغلبهم .. وسترى في لـذّات الـدنيا الحلال من اللـذّة والمتعة أضعاف أضـعاف ما كنت تـراه في لـــذّاتِها المحرّمة ، لأنّك ســـتأخذهَا بحقّها ، وببركة الله عليك فيها .. "

سـمع هـذه الكلمـات ، فتفتّحت لها مسامع قلْبه ، وذرفت عيناه الدمُوع بغزارة وحرارة ، فكـانت إيـذاناً ببـدء حيـاة جديـدة سعيدة .. فتاب إلى الله تعالى توبةً نصـوحاً ، وأقبل على الله بصدق ، ثمّ عزفت نفسه عن الدنيا فأسـهر ليله وأظمأ نهـاره ، ولم ير ضاحكاً
مستبشراً ، وعندما لتطوّر كـان يعـاتب في ذلك كان يعتذر برفق ، أنّ الأمر خـارج عن إرادته .. ولم يلبث سوى شهر وبضعة أيّـام ، حتّى نزلت به حمّى حار بأمرها الأطبّـاء ، فلم يسـتطيعوا تخفيض حرارته بكـلّ ما أوتـوا من علم وخـبرة ، وكـانت صـحّته تتـدهور تـدهوراً سـريعاً ، وهو صـابر رابط الجأش ، لا تسمع منه إلا كلمات الرضا عن الله ، والتسليم لقضـائه وقـدره ، ثمّ جـاءه الأجل والقـرآن الكـريم بين يديه ، وكـانت آخر آية تلاها : { ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ } الرعد . ثمّ مـال الكتـاب

العزيز على صــدره ، وأســلم الــروح إلى بارئه ..

27 * مات محرماً ملبّياً ..

لم يكن يعــرف مرضــاً ، أو يشــكو من علّة ، ولكنّه عندما عزم على السـفر لأداء فريضة الحجّ حـــرص على زيــــارة جميع أقاربه ورحمه ، وطلب من كـــلّ من زاره أن يســامحه إن صــدر منه أيّ تقصــير في حقّه .. وكنت ممّن زارهم ، فعجبت لكلامه ، وقلت : كأنّه مودّع ، بل صرّح لي أنّه ربّما لا يعــود إلينا ، وقلت في نفسي : لعلّها كلمة يقولها كما يقولها كثـــير من النـــاس ، ولا يقصــدون ما وراءها .. ولكنّه والحــقّ يقــال كانت ذات لهجة صدق توحي بما وراءها ..

وفي مكّة المكرّمة قضى أربعة أيّـــــام كـــان فيها في غاية الأنس والســعادة ، لا يفـــارق الحـــرم الشـــريف إلاّ لحاجة أو ضــرورة ، وهو ينتظر مع رفاقه يــوم عرفة بفــارغ الصــبر ، وبينما كــان يتوضّــأ ضـحى بعض الأيّـــام ، ليـــذهب إلى الحـــرم قبل

ساعات .. وقع عن كرسيّ الوضـوء ميتـاً ، ولم يشعر به أحد من رفاقه إلاّ من صـوت الضـــــــجّة .. ودفن في مكّة ، ولمّا يقضِ فريضــته ، ولكنّ الله تعــالى كتبها له بمنّه وكرمه ، ويبعث يـوم القيامة محرمـاً ملبّيـاً ..

28 * في طريقه إلى الحرم ..

وفي المدينة المنوّرة ، خرجنا ذات يــوم من صلاة العصر من باب السلام ، فوجــدنا رجلاً في الثلاثين من العمر ، ممتلئاً صـحّة وشـباباً ، ممـدّداً على الأرض ، على مقربة من بـاب السـلام ، فحسـبه النـاس مغمىً عليه ، فبـادروا إلى إنعاشه ، ولكنّه كـان لا حـراك فيه ولا نفس .. فعلمنا أنّ الأجل قد حلّ وهو مقبل على ربّه ، وإلى حـرم نبيّه .. فعسى أن تكـون بشـرى عاجلة ، بحسن الخاتمة ..

إنّها ميتة يحبّها الله ، ولكن أليس هنــاك ما هــو أحبّ إلى الله .؟! أليس لو كــان قد

بكّر إلى الصـــلاة نصف ســـاعة ، لأدركه الأجل في رحــاب المســجد ! فشــتّان بين من يكون موته في الرحــاب ، ومن يمــوت عند الباب أو الأعتاب ! وفي كلّ خير ..

29 * في طريقه إلى المنبر ..

كنت أســـمع به ولا أعرفه ، وأحبّه في الله ، لما أســمع من ثنــاء النــاس عليه ، وانتفـــــاعهم بخطبه ومواعظه ، قد كتب لحديثـه القبـول ، ولمواعظه التـأثير .. كـان شابّاً نشيطاً ، أصغر منّي سنّاً ، وما علمت عنه أنّه يشــكو مرضــاً أو علّة .. وجــاءني بعض المصلّين يوماً يقول لي : أما سمعت بخــبر خطيب مسـجد كـذا .؟ قلت : وماله .؟!

قـال : تـأخّر عن الخطبة يـوم الجمعة ، وكنت أريد الصـلاة في مسـجده ، ولم يكن من عادته التـــأخّر ، فخـــرج جـــاره من المسـجد ، وقد رآه خارجـاً من بيته قبله .. فمشى في طريق بيته ، فوجـــده قد جلس

على درج عمـــارة في طريقه ، ورأسه بين يديه ، فظنّه يشـــكو صـــداعاً ، فكلّمه فلم يجبه بشـــيء ، فحرّكه ، فوجـــده قد فـــارق الحياة ، وخطبة الجمعة في جيب ثوبه ، لم يتمكّن من عرضـــها للنـــاس .! وما أدري أمواعظه للناس حيّاً كانت أبلغ أم موعظته للناس ميتاً .!؟

30 * كان يسعى في الصلح بين زوجين ..

ما أقلّ المروءة في النـاس .! وما أقـلّ المصـلحين .! وقد كـانوا فيما مضى عمـاد الأمّة ، ولحمة وجودها وســـداها .. ولكنّهم لن تنقطع خيـوطهم عن مجتمعـات الأمّة ، لأنّ الخير فيها باقٍ وماضٍ إلى يـوم القيامة ..

وتـــأبى المـــروءة على أصـــحابها ألاّ يستجيبوا لنـدائها كلّما دعتهم ، مهما صـعبت المهمّة ، أو بعدت الشقّة .. وكان من أعــزّ من عـــرفت من رجالها أبو صـــالح ، هـــذا

الرجل الـوادع ، الخلـوق الحـيي المهـذّب ، الـذي ما عهد عنه أن قـال : لا ، لمن طلب منه أيّ شيء في ليلٍ أو نهـار .. وألف منه أهله هذه الخلائق ، فكانت حياتهم معه في عنت ، وكانوا يحـاولون جهـدهم أن يحولـوا بينه وبين بعض المهمَّات والأخبـار إشـفاقاً عليه ، وعلى أنفسهم أن يكـون حظّهم منه أقلّ الحظوظ وأدناها .. ولكنّهم عبثـاً كـانوا يحاولون .!

جاءهم مرّة على عجـلٍ فـرتّب محفظة سـفره .. وعنـدما سـألته زوجته : إلى أين .؟ لم يجبها إلاّ بقوله : نريد أن نصـــلح بين زوجين .! ومضى مســـرعاً كـــانت السـيّارة بانتظـاره ، ليمضي من حلب إلى حمص يسعى بين أسرتين مصلحاً ..

وجاءت الأمطار في الطريق والسيول ، واعتصم هـذا الـركب بسـيّارته ، وكـانوا مع صاحبنا ثلاثة ، فتوقّفوا في جانب الطريق ، ريثما تهدأ الأمطار والسيول .. ولكنّها كانت تشـتدّ وتـزداد ، حتّى اسـتحالت الأرض من

حــولهم إلى ما يشــبه النهر الجــاري ، ثمّ تمادى السيل وازداد ، حتّى جرف السـيّارة بمن فيها ، وطغى عليها ، وغمرها بلجّته ، والتهم من فيها .. وعُـــثر عليهم بعد أيّـــام موتى في سـيّارتهم ، قد تلفّفـوا ببطّانيـات من شدّة البرد ..

واشـــتدّ حـــزن أهله عليه ، ومعارفه ومحبّيه ، فـــــرأى بعض أقاربه رجلاً من الصـالحين في النـوم ، فقـال له : ما لك يا فلان .؟! فقـــال له : أنا حـــزين على أبي صالح ، فقال له : ولماذا تحزنـون عليه بعد ما رأى من العزّ والكرامة .؟! قال : ومــاذا رأى .؟! قال : لقد اسـتقبله في موته ثلاثة وعشـرون ملكـاً ، وغفر الله له وأكرمه .! فقـال له : وبمـاذا غفر الله له .؟ قـال له : بمروءته وخدمته للناس وقضاء حوائجهم ..

31 * بعدما تابت واستجابت .!

فتن الدنيا شـعبٌ وألـوانٌ ، لا تعـدّ ، ولا تقف بالإنسـان عند حـدّ .. إنّها لا تـــزال تســـتدرجه في دركاتها حتّى تبلغ به طريق

اللاعـــودة .. إلاّ أن يشـــاء الله له الخـــير والهداية ..

نشأت حنان في الغـرب نشـأة مختلفـةً كـــــلّ الاختلاف عن أبويها الملـــــتزمين ، المتزمّـــــتين في نظرها .. وألفت حيـــــاة الحرّيّة بلا حدود ولا ضــوابط ، ولكنها أنفتْ بحكم فطرتها عن أن تــنزلق كما انــزلقت الأخريــات من بــني جنســها وقومها ، أمّا الحجاب والصلاة ، وسائر ما يميّز المســلم في ســلوكه ، فقد كــانت تــراه من نَافلة العمل ، الــذي يتشــدّد فيه بعض النــاس كأبويها بدون مبرّر ..

وحاورها أبواها دون جـــــــدوى ، حتّى استيأس أبوها من الجـدال معها .. أمّا أمّها فكـانت لا تفتأ تحاورها في كـلّ مناسـبة ، فإذا رأت منها عناداً تركتها ، وإذا رأت منها لينـــاً قـــوي طمعها في هـــدايتها .. ولكنّ ســـلوكها لم يـــزل كما كـــان ، لم يتغيّر ولم يتحوّل ..

وفي يـوم من أيّـام الصـيف جـاءت إلى الــبيت وعيناها محتقنتــان بالــدم من شــدّة البكاء ، فعندما سألتها أمّها ما الــذي جــرى لها .؟ أجهشت بالبكــاء بصــورة شــديدة .! فتلطّفت بها ، وضــــمّتها إلى صــــدرها ، ومســـحت عَن عينيها .. ثمّ أعـــادت عليها السؤال : ما الذي جـرى لك يا حبيبـتي .؟! لقد ماتت صديقتي سوزان .! وكيف مــاتت .؟ بحــادث ســيّارة فظيع ، هي وصـــديقها توني .! خفّفي عنك يا بنيّتي ، المـوت لابـدّ منه ، فهـذَا مصـيْر كـلّ حيّ ، ولكنّ العاقل هو الــذي يفكّر فيما بعْد المـوت ؛ ما الــذي سـيكون عليه حاله ومآله ؟! وقلص الــدمع من عيني حنان ، وقالت باهتمام : وما الــذي سيكون عليه حالنا .؟ كلّ إنسان يا بنيّـتي ! على حسب عمله في هــذه الحيــاة .. فإمّا أن يكـــونَ من أهل الســـعادة ، أو من أهل الشــقاء ..! وكيف .؟ ألم أقل لك يا حنــان دائمــاً : إنّ الله تعـالى لم يخلقنا في هــذه الحياة عبثاً ، ولم يتركنا سدىً .! فلابــدّ من

الحساب والسؤال عن كلّ ما قدّم الإنسان ، وهناك لا ينفع ندم أو اعتذار .. وأهمّ عملٍ نســـــــأل عنه بعد توحيد الله تعـــــــالى والشهادتين هو الصلاة ..

وداررت تلك الكلمــات بــرأس حنــان ، فكأنّها تســمعها لأوّل مــرّةٍ .. واعتصــمت بالصمت دقائق .. ثمّ استأذنت من والــدتها ، ودخلت غرفتها ..

وبقيت أيّاماً لا يطيب لها طعام ولا منام ، لم تخرج من بيتها ، بل لم تكد تخــرج من غرفتها الخاصّــة إلاّ قليلاً .. وكــثر اتّصــال أصدقائها ، وصديقاتها عليها ، ولكنّها كــانت تعتذر عن الحــديث مع أيّ واحد منهم .. ثمّ خــرجت عن عزلتها بفكر جديد ، وســلوك جديد .. لقد قرّرت التوبَةَ ممّا كـانت عليه ، فتغيّــرَت حياتها كلّها ، وأصــبحت إنســانة أخرى بكلّ معـنى الكلمة .. وجـاءت أشـهر الحجّ ، فقرّر والـداها أن يحجَّا هـذا العـام ، فطلبت منهما أن تكــون في صـــحبتهما ، فوافقا بكلّ ترحيب ورغبة ..

وفي مكّة كانت سعادتها برؤية الكعبةِ لا توصف ولا تقدّر ، فلم تكن لتبرح الحرم إلاّ لنوم أو حاجةٍ ضروريّة ..

ثمّ حدث ما لم يكن في حســبان أحد .. ففي ليلـــةٍ من الليـــالي شـــبّ حريْق في السكن ، وهبّ الناس فَزِعِيْن على أصـوات النـــاس ورائحة الـــدخان ، وكـــانت كارثة إنســانيّة مروّعة ، ذهب ضــحيّتها عــدد من الحجّــاج الأبــرار .. وكــان حــظّ حنــان أن اســتأثرت بها رحمة الله تعــالى ، وهي في أقــدس البقــاع ، وأحبّها إلى الله تعــالى .. فكانت مع هؤلاء الشهداء ، نحسبهم كــذلك بإذن الله ..

32 * بين محاضرتين ..

كـــانت حياته دعــــوة إلى الله تعــــالى وجهـاداً في ســبيل دينه ، لم تلن له قنـاة ، ولم تفتر له عزيمة .. وكـبر سـنّه وضـعفت قواه ، ونصحه الأطبّاء أن يخفّف عن نفسه ، فصــحّته لا تســمح له بمثل ما يقــدّم من جهد .. ولكنّه لم يحد عن سيرته منذ شبابه .. بل كــان كلّما تقــدّم به العمر وجد نفسه

في ســـباق مع الأجل ، يقتضـــيه أن يجتهد أكـثر في العمل .. لقد كـان يشـهد له كـلّ من عرفه ، أنّه قــدّم الكثــير لدينه .. ولكنّه كـان لا يشــهد نفسه بمثل ذلك ، ولا بأقــلّ من ذلك .. إنّه يرى نفسه مقصّراً مفرّطـاً ، فكيف يغـترّ بكلام النـاس عنه .؟! وهــذا ما كان يدفعه إلى مزيدٍ من العطاء والتضـحية ..

لقد آلى على نفسه ألاّ يـدعى إلى خـير إلاّ اسـتجاب له ، وألاّ يطلب منه معــروف إلاّ وسارع في بذله .. أوليس ذلك من حقّ العلم عليه ، وقد وهب حياته له ، وأبلى شبابه في طلبه .؟!

وفي مــؤتمر من ملتقيـات الـدعوة إلى الله تعـالى والتـدارس لهمومها ، كـان قبل المؤتمر يشعر بضعف قواه ، ووهن جسده ، ولكنّه حمل نفسه على الحضـــــــــــور والمشـــــاركة حملاً ، واستحضر في نفسه حــرص الإخــوة القــائمين على المــؤتمر ، ومــدى تــأثّرهم لغيابه ، فقــويت عزيمته ،

وعظمت همّته ، فحضر وأعــدّ ما يشــارك فيه إخوانه العلماء والدعاة ، وفي محاضرة من المحاضـرات كـان القلم بين أصـبعيه ، وبعض الأوراق بين يديه ، يكتب فيها بعض ملاحظاته .. وبعد المحاضرة تجمّع بين يديه كثــير من المشــاركين ، بين مســلّم عليه ، ومستفســــــرٍ عن صـــــحّته ، ومعبّر عن مشاعره نحوه ، ثمّ استأذن إخوانه ليجلس في مكتب للاستراحة ، ومع ذلك فلم يتركه بعض النـاس .. وفي المكتب كـان يسـتمع لأحد محدّثيه باهتمام ، فقطع كلام محدّثه ، وقال : لا إله إلاّ الله .. وأسـلم الـروح إلى بارئها ..

33 * مات في الصلاة .. وفي الطريق إلى بيت الله .. !

شــابّ طــالب علم مُجِــدّ ، يتلألأ وجهه بشراً وصفاءً ، ويقطر حديثه رقّة ولطفــاً ، حسن الهيئة والســـمت ، إمـــام وخطيب مسجد ، ويا ليت كثيراً من الخطباء والأئمّة كـــــانوا مثله ، في طيب حديثه ، وحسن

معشــره ، ولطفه وذوقه ، كــان من بــرّه بمشـــايخه أنّه لا ينقطع عن مجالســـهم وزيارتهم ، وكـان من أمـره العجب : أنّه لا يفـتر عن ذكر الشـهادة في كـلّ مناسـبة ، وكثـيراً ما سـاءل إخوانه وجلسـاءه : تـرى هل يكرمنا الله تعالى بالشهادة في سـبيله ؟!.

وجــاءت أشــهر الحجّ فعــزم على أداء الفريضة ، وبدأ بزيارة المدينة المنوّرة ، ثمّ أحرم بـالحجّ ، ومعه زوجته وأولاده ، واتّجه إلى مكّة المكرّمة ، وعلى مقربة من مكّة المكرّمة نــزل يصــلّي صــلاة المغــرب ، ووقفت سيّارات أخرى للصلاة مع الجماعة ، واجتمع وراءه ما لا يقـــلّ عن خمســين مُصَــلٍّ ، وبينما هم في الصــلاة إذ جــاءت ســيّارة مســرعةً ســرعة هائجة ، كأنّها العاصــفة العَاتية .. فدعســته وهو قـــائم يصــلّي ، فمــات من لحظته .. وأصــابت آخرين كانوا وراءه بجروحٍ مختلفة ..

ودفن في مكّة المكرّمة محرمـــــــــاً ، ويبعث يوم القيامة محرماً ملبّياً ، ونحسب هـــذه الخاتمة شـــهادة في ســـبيل الله .! طالما تمنّاها ، وتحدّث عنها ..

34 * في لحْظـةٍ واحـدة يُطـوى كـلّ شيء :

في لحْظـــةٍ واحـــدة تعلّق المشْـــكلات المستعصـــــيات العالقة ، ويقف الجـــــدل والحوار ، وتنطفئ الحماسة اللاهبة ، وتهدأ النـــار الثـائرة ، وتؤجّل الأمــور إلى اليــوم الموعود ..

شابّ وديع لطيف ، تقيّ رزين ، حافظ للقـرآن ، في العقد الثـالث من العمر ، لم يمض على زواجه ثلاث ســـنوات ، كــــان يســتعدّ لاســتقبال المولـود الثـاني بآمـال عريضة ، ونفسٍ بهيجة ، وما يمنعه من ذلك .؟! وطفله الأوّل عبد الــــرحمن ، قد ملأ أركان البيت بهجة وأنساً ، وغمر أقطار النفس أملاً وســـعادة ، لا يعـــدلها ملء الأرض ذهباً أو فضةً ..

أصـرّ على زوجته أنْ يشـارك في لقـاء الأقارب والأرحام في استراحةٍ خارج مدينة جُدّة .. فصلة الرحم ـ كما قـال لها ـــ أولى من النزهة وحـــدنا .. وحضر الغـــداء فأكل وزاد ، كما أكل الآخـرون وزادوا ، وشـارك في كلّ حديث ودعابة .. وهو لا يدري مـاذا ينتظــــره .؟ وصـــلّى العصر مع الجماعة ، واســـتمع ما ألقي على ســـمعه وســـمع الآخرين من موعظة ، وكان خلالها ـ يشـهد الله ـ مُصـــغِيَ الســـمع حاضر القلب ، ثمّ شارك بالرياضة بكـرة الطـائرة ، ثمّ صـلّى المغـرب مع الجماعة ، وتوجّه مع الشـباب إلى المســـبح .. وقـــال لمن حوله : إنّه لا يعرف السباحة .. فحاول بعض الشباب أن يهـــــوّن عليه الأمر ويعلّمه .! ولكنّه بقي معتصماً بجبنه الفطريّ ، كشأنِ أمثاله في هـــذا الأمر .. واســـتغرق الشـــباب في سـباحتهم ولعبهم .. وانتبه بعضـهم بعد ربع سـاعة فقط لشـخص في القـاع .. أسـفل الماء ، فظنّه لأوّل وهلة أنّه سـبّاح مـاهر ..

يغـوص ويعـوم .. ثمّ ظهـرت جليّة الأمر .. لقد قضى صاحبنا غرقاً ، في بركة ماء ، لا تبلغ عشـراً بعشر .. وكيف .؟! إنّه المـوت يأتي بغتة ، ويكون بأهون سبب ..

قَالَ أحد الحاضرين : واحسرتاه على أنفسنا ! كيف اختطفه الموت من بيننا ، ونحن نلهو ونلعب ؟! ألا يمكن أن يكون الميت أحدنا ؟ أهكذا يمكن أن يأتينا الموت .؟! نعمْ ، هكذا يمكن أن يأتيَ ، وربما يأتينا كما جاء صاحبنا ، فلا حصانة لأحد من الخلق عنه .. فأين العقلاء المتّعظون .؟ الذين يعتبرون ، قبل أن يُعتَبرَ بِهم ، ويتّعظونَ قبل أن يكونوا عظة لغيرهم .!

35 * فضـيحة غـير محسـوبة : طلب من زوجِته المسـكينة أن تجهّز له محفظـة السفر ، لأنّه يريد الـذهاب لأداء العمـرة .. تعجّبت زوجته أوّل الأمـــر لأنّهـــا تعلم أنّ زوجها متســـاهل في صـــلاته ، بعيد عن التمسّك بدينه ، فمن أين أتته هـذه الرغبة لأداءِ العمـرة .؟! ولكنّها لم تسـتبعد شـيئاً

على قــدرة الله تعــالى وهدايته .. وألحّت عليه أن تصـحبه في هـذه الرحلة ، فهي لا تقــلّ عنه شــوقاً إلى بيت الله الحــرام .. فاعتذر لها بعدم قدرته على تكاليف السفر والإقامة ، ووعدها أن تكـــــــون معه في سفرة قادمة ..

وودّعته بدموع الشوق ، والشـفقة من الفـــراق ، وطلبت منه الـــدعاء من قلبٍ يتفطّر حزناً على فـــوات هـــذا الخـــير ، والحرمــانِ من الأجــر .. ومضت الأيّــام ، وهي تمنّي النفس بحياة جديـدة مع زوجها بعد أن يعــود من هــذه الرحلة المباركة .. وفــوجئت ضــحوة يــوم ، وهي مشــغولة بأعمــال بيتها بالهاتف يـــرنّ ، كـــان على الطـرف الآخر الخطـوط الجوّيّة .. : " هـذا بيت فلان ابن فلان .؟ "

ـ نعم ، وماذا تريدون منه .؟!

ـ ومن يتكلّم معِي زوجتـــه .؟! نعم أنا زوجته ..

ـ يؤسفنا أن نقـولَ لك : إنّ زوجك من جملـة المفقـودين من الرحلة المتّجهة من

" ... " إلى " بـــانكوك " ، والتي تحطّمت بعد إقلاعها بنصف ساعة ..

ـ ولكنّ زوجي مسافرٌ لأداء العمرة .! هذا كلام غير معقول ..

ـ لا يا أختي ! " البيانات عندنا تقول غير ذلك .. يمكنك أن تراجعي المكتب الرئيس للشركة ، لتتأكّدي من البيانات المتوفّرة .. وأرجو أن تكون معلوماتي مخطئة ، فأعتذر إليك مقدّماً ..

فأجهشتْ بالبكاء .. وسقطت سمّاعة الهاتف من يدها .. لقد خدع زوجته بما قال لها ، فهل خدع ربّه بما قصد وأراد .؟! ولم لم يحسب حساب هذه الفضيحة في الدنيا قبل فضيحة الآخرة وخزيها .؟!

36 * خاطب بعد حين :

تزوّج أخــواه منذ ســنين .. ولم يــزالا يلحّان عليه أن يعجّـل بـالزواج ، فقـد جمع من المـال ما يقوم بتكـاليف الـزواج على أحسن وجه .. فعلام التـــــــأخير إذن .؟! فمضــى في هــذا الســبيل ، وخطب فتاة

صالحة من أسرة تقيم في الرياض .. وفي الطريق إلى الريـاض ، كـانت الفرحة تغمر الجميــع .. لقــد تحقّقت أمنية أخويه ، وها هي الفرحة تخفق أعلامها فوق رءوسهم .. وحـديث كلا الأخـوين في سـيّارتيهما حـول ترتيبات الفرح كيف ستكون .؟

وفوجئ الأخـوان بالغبـار يعلـو سـيّارة أخيهما ، وهـو خلفهما بمسـافة يسـيرة ، وأخذت السـيّارة تتلـوّى على الطريق ، وتنقلب عدّة مـــرّات ، وكأنّها في عرض مسرحيّ خادع .. وأخرجت جثّـة الخـاطب ممزّقة الأوصال .. خرج من بيتـه خاطبـاً ، وكان يؤمّــل رغد العيش مع فتاة الأحلام شريكة العمر ، فاختطفته يد المنيّـة ، دون ما يرجو من الأمنيّة ..

37 * هربت من النار فقتلها الدخان :

امرأة صـالحة ، تقيّــة عابدة ، كـانت قائمة على أسـرتها وبيتها خـير قيـامٍ ، لم تبـدأ عملها يومـاً في المطبخ إلاّ بعد تلاوة ما تيسّـر لها من القـرآن ، وقـراءة أذكـار

الصــباح ، وصــلاة ركعــات من الضــحى ، وكعادتها كلّ يوم .. دخلت المطبخ ، وابتــدأت عملهــا ، وعندما أشــعلت موقــد الغــاز كان إلى جواره قطعة من القمــاش قديمة لم تنتبه إليهـــا ، فعنـــدما اشـــتدّت حرارة النــار احــترق طرفها ، فشبّت النــار فيها بســـــرعة ، فخشيت على نفسها من محاصــرة النــار لهــا ، فهــربت من المطبخ باتّجــاه الســطح ، لتخــبر زوجها من غرفــة المنزل العليــا ، فوجــدتها مقفلــة .. فبقيت على ســـــلّم المنزل ، والنـــــار تبعث من المطبخ دخاناً كثيفاً ، وشعر الجيران بــذلك ، فطرقوا الباب ، فسمعوا صوتها تستغيث .. ففتحوا الباب بقــوّة فكــان كلّ شــيءٍ قد انتهى .. لقد ماتت اختناقاً بالدخان ..

38 * من الإكرام إلى دار الكرامة :

كـان أبو عمـر مسـارعاً في الخيرات ، كريماً مضيافاً ، قد أغـدق الله عليه المـال من كلّ جــــانبٍ ، وكــــان لا يجد متعته إلاّ

عندما ينزل الضـيف بساحته ، فيجتهـد في إكرامه ويتفنّن ، ويلتمس رغبات الضــــيف من حيث لا يشعر الضـيف ، ثمّ يقـدّمها لـه بأســــرع مــــا يمكن .. تلك كـــانت عادته وسيرته .. وزاره أحد أصدقائه ، وقد طــال عهده بلقائه ، فلم يجــد بدّاً من حبسه إلى الغـداء .. ثمّ شـعر برغبة صـديقه أن يزور شـاطئ البحر في جدّة ، فسـارع إلى تلبية رغبته ، بمــا لا يــدع لــه مجالاً للاعتــذار أو التردّد .. وفي طريقـــه إلى البحـــر لم يكن مسرعاً تلك السـرعة الـتي تنـذر بـالخطر .. وهل يقف شـــيء في وجه القــــدر .؟! إذ جنحت به ســـــيّارته ذات الشـــــمال ، فـــارتطمت بالرصــيف ، فردّها إلى اليمين بقـوّةٍ ، فـانقلبت بـه وبصـديقه .. ففاضـت روحه إلى بارئها ، وكان الموعد مع الموت حقّــاً موقوتــاً ، وحتمــاً مقضــيّاً .. وقــال الأطبّاء : " نزيف داخليّ " ، وقال الموت : لا أعرف ما تقولون من الأسباب .. " .

39 * لمسة كهرباء :

كان يحسّ بدنوّ أجله ، كما حـدّث بـذلك عـدداً من أصـحابه ، فقـال له بعضـهم : إن كنت صادقاً فيمـا تقول ، فلماذا لا تتـوب ، وتلـــتزم بطاعة الله .؟! فحـــرّكت هـــذه الكلمـــة في نفسه داعية التوبة ، فعـــزم عليها بصـــدق ، وعنـــدما انتهى من عملـــه كعادته ، لم يغيّـر ثيابه ليـذهب إلى سـهرة لهوه المعتادة .. وإنّما اغتسـل وتوجّـه إلى المســجد ليــؤدّي صــلاة العشــاء .. وفي المسجد اصطاده دعاة الخير ، فابتدأ رحلة الهداية ، وحياة التوبة إلى الله والإنابة ..

وافتقده رفاق السوء ، لا لشيء إلاّ أنّه كـــان ينفق عليهم بغير حساب ، وحـــاول بعضهم إغراءه ليعود إليهم ، فكان نور الله في قلبه أعظم من دغـــدغات الشهوات .. وتحوّل ما كان ينفق من أمواله على رفاق السوء إلى زوجته وأولاده ، وظهرت عليهم آثـار النعمة ، وعاشـوا في بحبوحة العيش ورغده .. ولكنّ الإنسان كفّار ظلــومٌ ، فلم تقـــدّر زوجته هذه النعمة ، فكـــانت تتذمّر

منه ومن تديّنه صباح مساء .. فكـان يقـول لها : أيسرّك أن أعـود إلى رفـاق السـوء ، الـذين كنت لهم كـالبقرة الحلـوب ، وكنتم محرومين منّي من كلّ خير .؟ فتسكت ولا تجيبه بشيء .. ولكنّها لا تكفّ عن أذيّتهـا .. وآذته زوجتُـه مـرّة بلسـانها إيـذاءً شديداً ، فقال لها : ستندمين حين لا ينفعك النـدم ، وستحرمين هـذه النعمة .. وما يـوم نـدمك ببعيد .!

وحجّ فـــــازداد خيراً على خير .. وفي شهر رمضان كان مقبلاً على الله أكثر من أيّ وقت مضى .. إنّه في شهر التوبة والإنابة .. شهر الخـــــير والبرّ ، والرحمة والإحسـان .. ودخـل محلّه التجـاريَّ فـرأى الثلاّجة يسحّ الماء من أسـفلها ، فـأراد أن يمسحَه ، فكان فيها مـــاسّ كهربـــائيّ ، فبلمسة واحدة خفيفة كان الأجل بانتظاره ..

والشيء بالشيء يذكر : كان أحد أولادي طفلاً لا يتجاوز السنتين إلاّ قليلاً ،

وضع مسماراً من الحديد في مأخذ الكهرباء ، فضربته الكهرباء ، وخرج من المأخذ نار ، فاسودّ الجدار ، وأدركته وهو يبكي ، والمسمار في المأخذ ، ولم يصبه أذىً بحمد الله ..

وسألت أحد العاملين المختَصّين في الكهرباء عن أعجب ما وقع معه ، فقال : " كنت أعمل في إصلاح سلك كبير من الكهرباء بتيّار ثلاثمئة وستّين فولتاً ، وطلبت من مساعدي أن يقطع عنه التيّار ، فأخطأ في قطعه فأمسكت السلك ، وأنا مطمئنّ إلى أنّه مقطوع في ظنّي .. فمسّتني الكهرباء مسّاً غليظاً حملني عن السلّم ، وألقاني بقوّة خلف السور الذي كنت أقف دونه ، وأغمي عَليَّ أكثر من ساعة .. قال : وأعرف من مسّه تيّار أخفّ من هذا فقضى عليه .. ونعم الحارس الأجل .. " .

40 * غدرة بغدرة :

استمرأ في سبيل المال كلّ قبيح ، وأقبح ممّا يفعل أنّه كانَ يتباهى بأفعاله الخسيسة ، ولا يستحيي منها .. وعندما يبحث المجرمون الكبار عمّن يكون أداة رخيصة بيدهم يجدون من أمثَالِ هذا اللاهث وراءهم من يبيع إنسانيّته وشرفه بثمنٍ بخسٍ ، ولا يفكّر في شيءٍ سوى إشباع نهمته للمَالِ ، وليكن من بعده الطوفان ..

وتمّ الاتّفاق معه على صفقة قتلٍ غَادر بعِشرين ألف دولار .. واستدرج ضحيّته إلى مكان الجريمة ، وهو لا يعرف اسمه ولا قضيّته ، ولا يفكّر إلاّ بالمبلغ الكبير ، الذي ينتظره .. وغدر بضَحيّته بدمٍ بارد .. وانتشر الخبرُ بعد يومين أنّ فلاناً ... هرب من .. وانتحر .. وكان التحقيق الظاهر ، وطويت القضيّة إلى يوم القيامة ..

وعشـيّة يـوم لا صـبيحة بعـده ، تسـلّم مكافأته ، وهو يضحك .. بل يرقص طربـاً ..

والقدر يضحك كـذلك .. وفي الطريـق إلى بيته حاول اختصار الطريق ، فدخل شارعاً ترابيّاً ، ولكنّه مع طيش فكـره وراء فرحته تاه في بعض منحنياتـه ، فشـطّ بعيـداً عن مدخل بيته ، ولم يَنتبِه إلاّ على إطلاق النار على ســيّارته ، فتوقّف قليلاً ، ثمّ قرّر أن يترجّل ، ويرفع يَديْـــهِ .. لاشـــكّ أنّه في منطقةٍ عسكريّة ، وقد اشتبهت به ، فتقدّم منه رجل ملثّم ، وبيـــــده رشّاش ، فلم ينتظر منه كلمة واحدة .. وأفرغ رصاصات في جسده ، وهو يقول له : خـذها يا قاتـل أبي .! فوقع جُثّةً هامدة ..

وبعد أيّـام .. ألقي القبض على القاتل ، واعترف بجريمتـه بكلّ جـراءة .. إنّه يرصد قاتل أبيه منذ شهر في هذا الطريق .. لقد ظنّه قاتل أبيه ..

41 * الموت أقوى من الفرح :

كانت فرحته بعرس أخيه لا توصَف ، لقد استنفر طاقته منذ أيّام من عمل إلى آخر ، حتّى عجبت والدته لحاله ، وقد اعتادت ألاّ يقوم بخدمة للبيت إلاّ بالمطالبة الملحّة مرّة بعد مرّة ..

ويوم العرس كان يذهب ويجيء بدرّاجته في خدمات شتّى ، لا يكلُّ ولا يملّ .. واجتمع الناس ، وكان الفرح يتلألأ في وجوه الحاضرين ، والبسمة لا تبرح الشفاه .. وسأل الوالد عن أحمد ، فقيل له : لقد أرسلناه في حاجة ، وسيعود قريباً ، فشعر بالضيق يملأ صدره ..

ومضى الناس في العــــــرس بأهازيجه وسروره .. وفي الطريق إلى صالة الفــرح كانت سيّارة الأخت الكـبرى ، وقد تـأخّرت كثيراً عن الناس تمشي مسرعة ، وكلّ من فيها يشـعر بملامة النـاس للتـأخّر ، ولحظت الأخت من بَعيد أخاها مسرعاً على درّاجته ، فقـالت : هـذا أخي أحمـد على درّاجته ، لقد تعب كثيراً هذه الأيّام .. وقريبـاً نفـرح

به إن شـــــاء الله .. ولم تكد تكمل كلامها حتّى خـرجت سـيّارة من شـارعٍ فـرعيّ ، فضربت درّاجته فألقت به مسـافة عشـرة أمتـــار أو يزيد .. ووقفت ســيّارة الأخت ، لترى أخاها جثّة هامدة ، والــدماء تملأ وجهه ، وتـــنزف من أذنيه وأنفه ، وتســـيل من رأسه .. فأخــذت تولــول وتصــيح .. وتجمّع النـاس حـول الفـتى المضـرّج بدمائـه ، ولم يكن أمـــام الأخت أن تتابع طريقهـــا لتبلّغ أهلها المجتمعين في عرس أخيها الآخر ..

وعندما اقتربت من الصـالة ، وسـمعت صـــوت أهـــازيج النساء ، رفعت صـــوتها بولولة الحـــزن والمـــوت .. فـــاختلطت الولولة بالأهـــازيج .. وشـــكّ النـــاس أوّل الأمر : أهي ولولة أم أهـــــازيج .؟! أم هي امـــرأة مغفّلة ، لا تعـــرف كيف تهـــزج في الفرح .؟! وعندما اسـتطلعوا الخـبر توقّف الفرح .. وتحوّل العرس إلى مأتم .. { وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ } النجم . وسبحان من قهر عباده بالموت .! ولله درّ شاعر المعـرّة إذ يقول :

وشبيه صوت النعيّ إذا قيـ ـس
بصوت البشير في كلّ نادِ

42 * مستدرج إلى حتفه :

غرّ جاهل ، أقرب إلى السذاجة وبراءة الفطرة ، لا يعرف من شئون الدنيا شيئاً ، ألقي به بين أنياب الوحوش الضارية ، فماذا يرجى له .؟! إنّها باختصار قصّة نِهاية رامز ، ذلك الشابّ الناشئ في أعطاف النعمة ، وترف الغنى والثراء ، زُيّن لوالديه أنّ السبيل إلى الجاه والمجد هو في إرسال ولَدِهم إلى بلاد الغرب ، لإكمال الدراسة ، وهو لم يزل غضّ الإهاب ، طريّ العود .. وهناك تلقّفه رفاق السوء ، وأحاطوا به من كلّ جانب ، وبخاصّة أنّه من طبقةٍ غنيّةٍ معروفة في المجتمع ، فاستدرجوه إلى أبواب الشرّ والفساد ، وعرّفوه على ما لا خير له فيه .. فأخذ ينفق عليهم بغير حساب ، وتعمّق في إقامة علاقات مع بنات الهوى ، حتّى أصبح حديث الناس ، بين مشفق عليه وغابط ..

وانصرف عن دراسته إلى لهوه ومجونه ، إذ لا رقيب عليه ولا حسيب ..

وفجأة جاء الخبر إلى والديه أنّه وجد ميتاً في الشقّة التي يسكنها .. فجنّ جنون والديه ، وطار الأب إلى تلك الديار ، وطالب بفتح تحقيق جنائيّ ، واستعمل ما يستطيع من مالٍ وجاه ، وتأكّد بعد حين أنّ الشابّ مات مسموماً .! وكان الحزن على موته أخفّ من الندامة على إرساله .. فهل نفع الحزن أو الندامة .؟!

43 * شرب كأس الحمام قبل أن يشرب كأسه :

زارني في المكتب زيارة طويلة ، وأعجبت بما هو عليه من استقامة في مواقفه ، مهما فاته من مصالح ، ممّا أصبح عملةً نادرةً في هذا العصر .. وكان ممّا قال لي : " نحن نشقى ونتعب من أجل أولادنا .. ولكنّني لا أرضى أن أسلك أيّ سبيل ملتوٍ أو مخالف للنظام ، لتحقيق أيّ مصلحة لهم .. " وبعد يومين دخل عليّ

المرشد الطلاّبيّ ، وقال لي : أعظم الله أجركم بوالد سامر ! قلت : وأيّ سامر تعني .؟ قال : والد سامر وعامر .! قلت : " أنت غلطان .! " قال : ولماذا .؟ قلت : لأنّه أوّل أمس كان عندي هنا .! قال : والبارحة توفّي إلى رحمة الله .! قلت : وكيف .؟ قال : كان من عادته أن يشرب الشاي بعد العصر ، فدخلت عليه زوجته بالشاي ، وهو جالس متّكئ في مجلسه ، وصبّت له كأس الشاي وخرجت .. وبعد نصف ساعة دخلت عليه فوجدته رافع الرأس على مسند مجلسه ، وهو شاخص البصر إلى السماء .. وكأس الشاي كما هي ، لم يشرب منها قطرة .!

44 * شبح الموت :

شابّ في مقتبل العمر ، ممتلئٌ قوّةً ونشاطاً ، بدأ العمل في متجر والده ، فأقبلت عليه الدنيا بأحلامها الورديّة ، وآمالها العريضة ، فأقبل عليها بنهم الشباب ، فكان لا يعرف تعباً ليعرف راحة

لبدنه ، وكان يعجب إذا رأى والده أو أحداً
من أهله يمرض بعض الأحيان ، ويقول في
نفسه : كيف يمرض هؤلاء الناس .!
ومرض مرّة بنزلة برد شديدة ، فلزم
الفراش أيّاماً ، فعندما عاده والده قال له
: أظنّ أنّ مرضي هو مرض الموت .!
فضحك والده بملء فيه ، وقال له :
مرضك يا بني مرض الأكابر ، إنّه مرض لا
يعاد به المريض شرعاً .! فقال له : لا تهزأ
منّي يا أبي ! أحسّ أنّ شبح الموت يقترب
منّي ، بل يحيط بي .. فضحك والده أكثر ،
وقال له : أنت صاحب وهم يا بنيّ ..
واشتدّ مرضه بعد أيّام ، وحار
بتشخيصه الأطبّاء ، فازداد يقينه بما يقول
.. وتمادى به المرض يوماً بعد يوم ،
والشابّ يزداد يقيناً أنّه مريض مرض
الموت .. ثمّ اكتشف الأطبّاء أنّه مريض
بسرطان الدم ، وأنّ المرض في مرحلة
متقدّمة .. واجتهد والده في مداواته ،
وبذل ما يستطيع من ماله ، ولكن دون

جدوى .. وجاءته حال من الاستسلام لأمر الله تعالى ، والرضا عن الله لا توصف ، لأنّ بعض المشايخ بشّره بأنّ من يموت بهذا المرض هو من الشهداء بإذن الله ..

ولم يزل يتمادى به المرض ، حتّى كانت النهاية المنتظرة .. ولكلّ أجل كتاب .. فويح الشباب الغافل عن الشباب الآفل

45 * راكض إلى الله !

شابّ ناشئ في طاعة الله ، جميل الصورة ، حسن الهيئة ، يتلألأ وجهه بنور الطاعة والإيمان ، خلوق مهذّب ، حيِيٌّ لا يعرف إلاّ الجدّ ، والاشتغال بما يعنيه .. رأيته في صلاة الفجر أيّاماً فأحببته من قلبي ، فسألت عنه فقيل لي : إنّه قريب فلان .. فقلت : لا عجب ! فالشيء من معدنه لا يستغرب .. ثمّ افتقدته مدّة ، فسألت عنه قريبه فقال لي : رحمه الله ، نحسبه شهيداً .. قلت : وماذا تقول .؟! أنا أقصد فلاناً ، وأخذت أعدّد له أوصافه ، فقال لي : قد عرفت من تقصد .. لقد

استأذن أمّه لزيارة أخواله في طاجاكستان ، فأذنت له ، وعندما وصل إلى هناك ، وقام الجهاد في بلاد الشيشان ، أرسل يستأذنها بغاية الأدب والبرّ أن يجاهد مع إخوانه في الشيشان ، فقد قامت سوقُ الجهاد هناك .. فأذنت له ، وكانت امرأة صالحة ، وعندما سئلت : كيف أذنت له ، وهو وحيدك .؟! قالت : " أنا على يقين أنّ جهاده لا يقدّم أجله ، وأنّ قعوده لا يزيد في عمره .. فكيف أمنعه من أمرٍ يطلب به مرضاة ربّه .؟! " ، ومضى في سبيله ، وشحّت الأخبار عنه ، وأصبحنا نتتبّع أخبار الشيشان لعلّنا نصل إلى شيء من أخباره ..

ثمّ جاءنا الخبر الذي لم يكن مستغرباً : أنّ الشابّ قضى على أرض الشيشان شهيداً .. وتأكّد الخبر برسالة تعزيةٍ ومواساةٍ لأمّه ، وأنّه كان صائماً يوم استشهاده ، ووصّى من معه أن يبلّغوا أمّه

سلامه ، ويوصوها بالصبر والاحتساب ، ويطلبوا منها الدعاء له ، والعفو عن تقصيره ..

(رحمه الله ، ولله درّه ! لقد أحسن اختيار الموتة التي يموت .. ومن صدق الله صدقه ..) .

46 * لم ينس ذكر الموت :

صديق صدوق ، في العقد الرابع من العمر ، معلّم بفطرته ، ومربٍّ بأحواله قبل أقواله ، لا يمكن أن يمرّ به مجلس دون أن يعلّم ويذكّر ، وينصح ويوجّه ، ولم يعرف عنه إلاّ الرفق بالناس وحسن الخلقِ ، أعرفه بهذه الخلال منذ أكثر من عشرين سنة .. وكان ذكر الموت لا يبرح لسانه في كلّ مجلس .. وعندما سئل من قبل بعض محبّيه : لماذا تكثر من ذكر الموت قال : لأنّني من أهل الغفلة ، فأحبّ أن أوقظ قلبي .. وأشعر أن الموت سيأتيني فجأة .. فأريد أن أكون مستعدّاً لنزوله قبل نزوله ..

خرج من حلب إلى بعض الضواحي لزيارة أحد إخوانه ومحبّيه ، وقال لزوجته : أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ..
فقالت له : ومتى ستعود إن شاء الله .؟
فقال لها لأوّل مرّة وهو يضحك : وهل يدري أحد متى سيعود .؟ الأمر لله .. وفي الطريق حدث في السيّارة خلل فانقلبت به ، وتوفّي في ساعته ، وسلم من كان معه ..
{ .. قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ .. ﴿١٥٤﴾ } آل عمران .

47 * مات الزائر وشفي المزور :

صديقان ودودان ، كانا من أخلص زملاء العمل وأصفاهم ، أصيب أحدهما بداء فى القلب خطير ، فنقل إلى المستشفى ، وخلال يومين قرّر له الأطبّاء إجراء عمليّة سريعة في القلب ، وإلاّ فإنّ حياته في خطر .. وأجريت له العمليّة ، وكانت ناجحة فيما يبدو .. ولكنّه بعد أيّام دخل في غيبوبة ، وبقي على ذلك قرابة شهر ، حتّى استيأسنا من شفائه .. وكان زميلنا أبو

عمرو برّاً بصديقه غاية البرّ ، لا ينقطع عن زيارته كلّ يوم ، ويقول : إنّه في غربة عن أهله ، ولابدّ أن نكون بجواره ..

ودخلنا المدرسة ذات يوم وإذ بالخبر شائع بين الطلاّب أنّ مدرّساً قد توفّي هذه الليلة ، فذهب بنا الظنّ إلى ذلك الراقد على سرير المرض منذ أسابيع .. ثمّ جاء الخبر أنّ المتوفّى أبو عمرو .. فقلت أنا أحد الناس ، وتلك من غفلتنا : " غير معقول .. إنّه سليم معافى .! " وتأكّد الخبر بعد قليل أنّ المتوفّى أبو عمرو .. وأنّ الراقد في المستشفى لا يزال على قيد الحياة .. لقد كان بالأمس يحدّثني وأحدّثه .. ثمّ زار صديقه في المستشفى ، ثمّ عاد إلى البيت ، فأحسّ بآلام شديدة في بطنه ، فذهب إلى المستشفى ، فقيل له : لابدّ من إجراء تحاليل شاملة ، وبينما كانوا يجرون له تلكَ التحاليل تدهورت صحّته ، وأخذ يتقيّأ دماً ، ثمّ أغمي عليه وفارقَ الحياة .. وأمّا زميلنا الآخر فقد

شفي ، وعاد إلى عمله ، ومتّع بالحياة والعافية إلى حين ..

48 * ودّع أصحابه قبل أن يودّع الحياة :

كان شابّاً طالب علم ، حافظاً لكتاب الله ، ملء السمع والبصر ، يزينه الخلق الكريم والأدب الجمّ ، برّاً بوالديه لم يعرف عنه موقف هفوة مع أحدهما أو سوء أدب ، يسارع في خدمة الناس ولا يتلكّأ ، فلا عجب أن كثر أحبابه وأصدقاؤه ، وكانت منزلته الرفيعة بين الناس لا تتناسب مع حداثة سنّه ..

وأدّى العمرة ، وودّع أصحابه ، وكان برفقته أحد أعزّ أصدقائه ، فيحدّث عنه أنّه حمل معه كلّ ثيابه في سفره ، وعندما سأله عن سبب ذلك قال له : أريد أن أتصدّق بها .. أليس من المستحسن أن يفعل المؤمن ذلك بين الحين والآخر ..

وفي الطريق ما بين دمشق وحلب هاجمته سيّارة شحن ، فلم يستطع منها مهرباً .. وكانت تحمل له قدر حِمامه ..

وجاء الخبر .. فبكته أعين بسخاء .. كانت ترى فيه حلماً وأملاً .. ولكن ما يجدي البكاء .؟!

هكذا تذبل نضرة الحياة .. هكذا تطبق الشفاه .. هكذا ينسخ الحلم الجميل .. كما اختفى السراب .. وإلى الله المرجع والمآب ..

49 * عبث أم خطفة النومِ أم الموت :

كـان في مرحلـة الثانويّة العامّة صاحب ذكـاء متميّز ، محبوباً بين رفاقـه ، متقـدّماً عليهم في دراسـته ، يمنّي والداه نفسـهما أن يـدخل كلّيّـة الطبّ ، فيكـون طبيباً ، يعتزّون به بين الناس .. وما أكثر ما حـالت المنيّة دون الأمنيّة .!

هل للإنسان أن يختبئ من القدر أو يفرّ .؟ هيهات ! هيهات ! فعلى الرغم من تواصل أبي سالم مع جميع أهله وأقاربه ،

وحرصه على المشاركة لهم في كلّ
مناسبة .. إلاّ أنّه أحسّ بضيق في صدره ،
ورغبةٍ شديدة ألاّ يحضر عرس ابن عمّه
في مكّة .. ولكن كيف يمكن الاعتذار .؟
وبم يعتذر .؟! وقلّب وجوه الرأي فلم يجد
مناصاً من الحضور ، فعقد العزم ، وتوكّل
على الله ، وحمل أسرته بين سيّارته
وسيّارة ابنه عليّ ، ولم ينس أن يوصي
ابنه بالانتباه إلى أخطاء الآخرين قبل
أخطائه .. وحضروا العرس ، وطال السهر
حتّى لم يبق للفجر سوى ساعتين .. ولكن
لابدّ من العودة إلى جدّة ، فارتباطات أبي
سالم كثيرة ، ولا يستطيع التخلّص أو
توكيل أحد ينوب عنه .. وفي الطريق كان
يسير أمام سيّارة ولده ، ويلحظه بالمرآة
بين الحين والآخر ، ولحظ أنّه يميل
بسيّارته ذات اليمين وذات الشمال ، فظنّ
أوّل الأمر أنّ ولده يتصرّف بنوع من طيش
الشباب ، فتضايق منه ، وقال في سرّه :
ومتى كان عليّ بمثل هذا الخلق .؟! وفجأة

جنحت السيّارة ذات الشمال ، وتمادت في جنوحها ، فصاح بأعلى صوته : الله أكبر ! الله أكبر ! حادث .. حادث .. وتوقّف بصورة فجائيّة ، كاد بها من معه أن يرتطموا بنوافذ السيّارة وسقفها .. وهم لا يعلمون ما يجري خارجها .. ونزل يركض باتّجاه سيّارة ابنه .. كانت الدماء تنزف من رأسه وقد خرج نصف رأسه من الزجاج الأماميّ .. وطاش عقل أبي سالم ، وهو يرى ولده بهذه الحالة ، ولم يدر ماذا يعمل .؟! وكيف يتصرّف .؟! ووقفت السيّارات ، وجاء الناس وحاولوا مساعدته .. ولكن حلّ الأجل .. ولم يعد ينفع شيء من العمل : { .. قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ .. ﴿١٥٤﴾ } آل عمران .

ولا تسل عن حزن والديـــــه عليه كيف كـــان .؟! ثمّ محت الأيّـــام الأحـــزان من الوجدان ، فأصـبحت من خـبر كـان ، وتلك سنّة الله في الحياة والأحياء ..

50 * باحث عن الحور العين :

خلدون شابّ ناشئ في طاعة الله ، في السنة الأولى من الجامعة ، على درجة كبيرة من التقوى والاستقامة ، لا تسنح له فسحة من الوقت إلاّ ملأها بعبادة الله وطاعته ، نشيط في الدعوة إلى الله ، بين رفاقه وأصدقائه ، كما هو متفوّق في دراسته ، لا يعرف إلاّ الجدّ والعمل ، دمث الأخلاق ، لا يعرف عبث الشباب ولا يعرفه

صحبته في سفر الحجّ فكان أعجوبة في نكران نفسه ، وخدمة إخوانه ، وإيثارهم بالمحابّ وإيثار نفسه بالتعب ..

كانت لديّ ابنة واحدة ، في السنة الأولى من العمر ، فكنت أمازحه أنّني أخبّئها له ، فعليه أن يصبر ويصابر ، فيقول لي : " لا حظّ لي في نساء الدنيا ، والحور العين ينتظرنني .. من فكّر بالحور العين زهد بنساء الدنيا " .

خرج يدعو إلى الله مع فئة مؤمنة صالحة مرّة بعد مرّة ، وكان يقول تواضعاً : أنا أخرج لتهذيب نفسي وخدمة إخواني ،

وفي إحدى المرّات قصدوا قرية كان بينها وبين قرية مجاورة خلاف ونزاع ، فعندما رآهم من بعيد بعض رجال القرية أطلقوا عليهم النار بكثافة ، فأصابت خلدون رصاصة بمقتل ، فلم يبرح مكانه ، ولم يصب أحد معه بشيء .. ونحسبه شهيداً ، ولا نزكّي على الله أحداً .. ولعلّ الحور العين كنّ بانتظاره في تلك الدار ..

وبعد ؛ فأنا يقين أنّ القارئ الكريم يعلم من قصص خاتمة بعض الأموَاتِ وأخبارهم الشيء الكثير .. وقد يعلم ما هو أعجب ممّا كتبت ، وأكثر موعظة واعتباراً ، وإنّما أردت بما جمعت أن يكونَ منشّطاً للذاكرة ، ليذّكّر الإنسان ما نسي ، ويعتبر بمن مضى .. وتقريعاً لنفسي اللاهية الغافلة ، وقلبي الغارقِ في غمراتِ الهوى والتصابي .. وقدْ عمّ الشيب وطمّ ، وعمّا قريب تكون

الخاتمة ، وأسأل الله تعالى وأرجوه أن تكون على أحبّ العمل إليه ، بمنّه وفضله ، ولطفه وكرمه ..

وإذَا وقف من بعدي على ما كتبتـ ، وانتفع بما سطّرْتُ ، فأرجو منه أن يتفضّلَ عليّ بدعوة صالحة ، كما أسأل الله تعالى أن يكون ما كتبتُ حُجّةً لي يوم أقف بين يديه وألقاه ، وأن يبلّغني به رحمته ورضاه ..

اللهمَّ اجعَل خَيرَ عُمُرنا آخِرَه ، وخَيرَ عَمَلِنا خَواتمَه ، وخَيرَ أيّامِنا يَومَ نلقَاكَ وأنت رَاضٍ عَنّا .

فصل في التعزية

قال الإمام النوويّ رحمه الله في كتابه " الأذكار " :

" واعلم أنّ التعزية هي التصبير ، وذكر ما يسلّي صاحب الميّت ، ويخفّف حزنه ، ويهوّن مصيبته ، وهي مستحبّة ، فإنّها مشتملة على الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، داخلة في قول الله تعالى : {.. وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ .. ﴿٢﴾ } المائدة ، وهذا من أحسن ما يستدلّ به في التعزية .

أقول : وأخصّ ممّا استدلّ به الإمام النوويّ رحمه الله على التعزية ، ما جاء في الحديث عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : فَتَحَ رَسُولُ اللهِ بَاباً بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، أَوْ كَشَفَ سِتْراً ، فَإِذَا النَّاسُ يُصَلُّونَ وَرَاءَ أَبِي بَكْرٍ ، فَحَمِدَ اللهَ عَلَى مَا رَأَى مِنْ حُسْنِ حَالِهِمْ رَجَاءَ أَنْ يَخْلُفَهُ اللهُ

فِيهِمْ بِالَّذِي رَآهُمْ ، فَقَالَ : (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّمَا أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ ، أَوْ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِهِ بِي عَنْ الْمُصِيبَةِ الَّتِي تُصِيبُهُ بِغَيْرِي ، فَإِنَّ أَحَداً مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي**) [1] .

والتعزية مستحبّة قبل الــدفن وبعــده ، قــال أصــحابنا : يــدخل وقت التعزية من حين يمـــوت ويبقى إلى ثلاثة أيّـــام بعد الدفن ، والثلاثة على التقريب لا التحديد ، كــذا قاله الشــيخ أبو محمّد الجويــنيّ من أصحابنا ، قال أصـحابنا : تكـره التعزية بعد ثلاثة أيّـــام ، لأنّ التعزية لتســـكِيْن قلب المصاب ، والغالب سكون قلبه بعد الثلاثة ، فلا يجدّد له الحزن .. " .

" وأمّا لفظة التعزية فلا حجر فيها ، فبــأيّ لفــظٍ عــزّاه حصــلت ، واســتحبّ

---

[1] ـ رواه ابن ماجة في كتاب الجنائز برقم /1588/ .

أصـــحابنا أن يقـــول في تعزية المســـلم بالمسـلم : " أعظم الله أجـرَك ، وأحسن عـــزاءك ، وغفر لميّتك " ، وفي المســـلم بالكـــافر : " أعظم الله أجـــرَك ، وأحسن عـــزاءك " ، وفي الكـــافر بالمســـلم : " أعظم الله أجـــرَك ، وأحسن عـــزاءك " ، وفي الكافر بالكافر : " أخلف الله عليك " [1] .

ويقول جامع هذه الرسالة : اعلم رحمك الله أنّه قد شاعت على ألسنة العامّة كلمات هي من الحكمة البليغة ، ولو لم يرد لفظها في السنّة ، ولكنّها تحقّق مقاصد الكتاب والسنّة ، كما شاعت كلمات إذا تأمّل المؤمن معناها وجدها بعيدةً عن قصد المتكلّم ومراده ؛ فمن النوع الأوّل في التعزية قولهم : " يسلم الدين والإيمان " والمراد بذلك ألاّ يقع المصاب بشيء من الجزع أو التسخّط

---

[1] (?) ـ المرجع السابق ص/210/ .

على قدر الله تعالى ، ممّا يحرمه أجر الصبر والاحتساب .. ومن النوع الثاني في التعزية قولهم : " لا فجعك الله بعزيز " ، ومعلوم أنّ حياة الإنسان لا تنفكّ عن المصائب والابتلاءات ، وإذا لم يفجع الإنسان بعزيز فيها ، فهذا يعني أنّه أوّل عزيز يفجع به أهله ، وهذا عكس مرادهم من تلك الكلمة ، فلينتبه المؤمن إلى كلامه ، وليتفكّر بمعانيه ومراميه .

وممّا جاء من أخبار السلف في التعزية ما روى البيهقيّ في مناقب الشافعيّ رحمهما الله ، أنّ الشافعيّ بلغه أنّ عبد الرحمن بن مهديّ رحمه الله مات له ابن فجزع عليه عبد الرحمن جزعاً شديداً ، فبعث إليه الشافعيّ رحمه الله : يا أخي ! عزّ نفسك بما تعزّي به غيرك ، واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك .

واعلم أنّ أمضّ المصائب فقد سرور ، وحرمان أجر ، فكيف إذا اجتمعتا مع

اكتساب وزر .؟! فتناول حظّك يا أخي إذا قرب منك قبل أن تطلبه وقد نأى عنك ، ألهمك الله عند المصائب صبراً ، وأحرز لنا ولك بالصبر أجراً ، وكتب إليه :

إنّي معزّيك لا أنّي على ثقةٍ من الخلود ولكن سنّة الدينِ

فما المعزّي بباقٍ بعد ميّته ولا المعزّي ، ولو عاشا إلى حينِ

وكتب رجل إلى بعض إخوانه يعزّيه بابنه : أمّا بعدُ ؛ فإنّ الولد على والده ما عاش حزنٌ وفتنة ، فإذا قدّمه فصلاة ورحمة ، فلا تجزع على ما فاتك من حزنه وفتنته ، ولا تضيّع ما عوّضك الله من صلاته ورحمته .

وقال موسى بن المهدي لإبراهيم بن سالم ، وعزّاه بابنه :

" أسرّك وهو بليّة وفتنة ، وأحزنك وهو صلوات ورحمة ؟! "

وعزّى رجل رجلاً فقال : عليك بتقوى الله والصبر ، فبه يأخذ المحتسب ، وإليه يرجع الجازع .

وعزّى رجل رجلاً فقال : إنّ من كان لك في الآخرة أجراً : خير ممّن كان لك في الدنيا سروراً .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّه دفن ابناً له ، وضحك عند قبره ، فقيل له : أتضحك عند القبر .؟! قال : أردتّ أن أرغم أنف الشيطان .

وعن ابن جريجٍ رحمه الله قال : من لم يتعزّ عند مصيبته بالأجر والاحتساب سلا كما تسلو البهائم .

وعن حُميد الأعرج قال : " رأيت سعيد بن جبــير رحمه الله يقــول في ابنه ونظر إليه : إنيّ لأعلم خــــير خلّة فيه ، قيل : ما هي ؟ قال : يموت فأحتسبه .

وعن الحسن البصــــريّ رحمه الله أنّ رجلاً جــزع على ولــده ، وشــكا ذلك إليه ، فقــال الحسن : كــانَ ابنك يغيب عنك .؟

قال : نعم ، كانت غيبته أكـثر من حضـوره ، قـــال : فأنزله غائبـــاً فإنّه لم يغب عنك غيبة الأجر لك فيها أعظم من هذه . فقال يا أبا سعيد ! هوّنت عليّ وجدي على ابني .

وعن ميمـون بن مهـران قـال : عـزّى رجل عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك ، فقال عمر : الأمر الذي نزل بعبد الملك أمر كنّا نعرفه ، فلمّا وقع لم ننكره .

وعن بشر بن عبد الله قال : قـام عمر بن عبد العزيز على قــبر ابنه عبد الملك فقـــال : رحمك الله يا بـــنيّ ! فقد كنت سارّاً مولوداً ، وبارّاً ناشئاً ، وما أحبّ أنّي دعوتك فأجبتني .

وعن مســلمة قـــال : لمّا مـــات عبد الملك بن عمر كشف أبــــوه عن وجهه وقـال : رحمك الله يا بـنيّ ! فقد سـررت بك يـــوم بشّـــرت بك ، ولقد عمـــرت مسروراً بك ، وما أتت عليّ ساعة أنا فيها

أسرّ من ساعتي هــذه ، أما والله إن كنت تدعو أباك إلى الجنّة .

وقال أبو الحسن المدائنيّ : دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه في وجعه فقال : يا بنيّ ! كيف تجدك .؟ قال : أجدني في الحــقّ ، قــال : يا بــنيّ ! لأن تكــون في مــــيزاني أحبّ إليّ من أن أكــــون في ميزانك ، فقال : يا أبت لأن يكُونَ ما تحبّ أحبّ إليّ من أن يكونَ ما أحبّ .

وعن جويرية بن أســـماء ، عن عمّه ، أنّ إخـــوة ثلاثة شـــهدوا يـــوم تُســـتَر فاستشــهدوا ، فخــرجت أمّهم يومــاً إلى السوق لبعض شــأنها ، فتلقّاها رجل حضر تُستَر ، فعرفته ، فسـألته عن أمـور بنيها ، فقـال : استشـهدوا ، فقـالت : مقبلين أو مدبرين .؟ قـال : مقبلين ، قـالت : الحمد لله ، نـــالوا الفـــوز ، وحـــاطوا الـــذمار ، بنفسي هم وأبي وأمّي ، قلت : (والقـــول للإمـــام النـــوويّ) الـــذمار : بكسر الـــذال المعجمـة ، وهم أهل الرجل وغـيرهم ممّا

يحقّ عليـه أن يحميهم ، وقولها : حـاطوا : أي حفظوا ورعوا .

ومات ابن الشافعيّ فأنْشد :

وما الدهر إلاّ هكذا فصطبِر له
رزيّة مالٍ أو فراق حبيبِ

قـــال أبو الحسن المـــدائنيّ : مـــات الحسن والد عبيد الله بن الحسن ، وعبيد الله يومئـذٍ قاضي البصـرة وأميرها ، فكـثر من يعزّيه ، فـــذكروا ما يتـــبيّن به جـــزع الرجل من صـبره ، فـأجمعوا على أنّه إذا ترك شيئاً كانَ يصنعه فقد جزع [1] .

[1] ـ انتهى كلام الإمـام النـوويّ رحمـه اللـه في كتابـه : " الأذكار " ص /214/ .

الخاتمة

الإنسان أشبه بالكتاب .. والكتاب مؤلّف من أبواب وفصول وخاتمة ، ومنه الكبير والصغير .. وعندما يصل الإنسان في سفر حياته إلى الفصل الأخير فإِنَّهُ لا يفكّر إلاّ في الخاتمة .. وتصبح الفصول الأخرى في حياته ذكريات الماضي يذكرها ، وربّما ترنّمَ بذكرها ، ولكنّه لا يستطيع العودة إليها ، كما لا يمكنها العودة إليه ، كما قال الشاعر :

ألا ليت الشباب يعود يوماً لأخبره بما فعل المشيبُ

ومهما تأسّف على فواتها فإنّه لا ينفعه التأسّفُ إلاّ ضياع ما بقي من العمر ، وليس ذلك من شأنِ العاقل الحريص على نجاته ..

وها نحن أنهينا فصول هذا الكتاب ، الذي نَتحدّثُ فيه عن الموت ، ونتطلّع إلى

الخاتمةِ ، التي نسأل الله تعالى بمنّه وفضله حسنها .

وفي الختام : أخي المؤمن ! أختي المؤمنة !

هل فكّــرت في نفسك كيف ســـتكون ميتتك .؟! وهل خطّطت لها .؟

إنّ الطريق إلى الله سالك ، ولابدّ لك
منه : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ
(6) فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا
(8) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا (9) وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ
(10) فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا (11) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (12) إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ
مَسْرُورًا (13) إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (14) بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا }
(15) الانشقاق .

فأقبل على الله حبّاً ورغباً ، وتوبة وإنابة ، وعبوديّة صادقة ، خير لك من أن تساقَ بسياط القهر ، وبأس القدر ، كما يساق المجرمون ، ليس لهم من حميم ، ولا شفيع يطاع ، وَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ

الشَّافِعِينَ ، ويعرفون بسيماهم ، فيؤخذ بالنواصي والأقدام ..

الطريق إلى الله : أن تُحكم أمر التوبة ، وتحسن اختيار الصحبة ، وتقطع عن نفسك داء التسويف ، وتوقن أنّ الموت لا يعرف كبيراً ولا صغيراً ، ولا شاّبّاً ولا هرماً ، ولا صحيحاً ولا عليلاً .. فليس التسويف إلاّ من الشيطان الذي لا يستطيع أن يوقعك في شباكه إلاّ اصطادك بهذا الداء الدويّ ، والوباء الخفيّ ، الذي أهلك به من الناس من لا يحصيهم إلاّ الله ..

فاعزم يا أخي على الرشد منذ هذه اللحظة ، وأقبل على الله بقلبك ولبّك ، وضع نصب عينيك مرضاة ربّك ، لا شيء سواها ..

واعلم أنّ اهتمام الناس بك مهما بلغ ، وهمٌ عاجل ، وزيفٌ باطل ، وسراب خادع ، ومن كان محبّاً لك صادقاً نصحك مثل نصحي ، وحرص على استقامتك ، لأنّه حريصٌ على نجاتك .. : { فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ

لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ } غافر .

يقول الله تعالى : { فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ } الواقعة .

إنّ الموت واعظ صامت ، والقرآن واعظ ناطق ، وقد قدّمت لك نصيحتي ناطقةً ببيّناتِ الوقائع الحقّة عن الواعظ الصامت ، ودونك القرآن الكريم ، وهو الواعظ الناطق : فافتح مسامع قلبك لمواعظه ، واقرأ آياته بتدبّر ، فإنّها كفيلة بنقلك من ظلمات الغفلة إلى نور اليقظة ، ومن ذلّ المعصية إلى عزّ الطاعة ، ومن متاهات الضلال إلى بحبوحة الهدى ..

وإنّ ابتلاء الإنســـان في هـــذه الحيـــاة وامتحانه لابدّ أن ينتهي ، ولكن مــتى ينتهي .؟ وكيف ينتهي .؟ هذا ما لا يعلمه أحدٌ من البشر .. أفليس حقّاً على العاقل أن يكون على اســتعداد للرحيل ، وما بعــده في أيّ وقت .؟

وبتعبــــــير آخر : أليس على العاقل أن يخطّط للنهاية التي تختم بها حياته .؟ أخذاً بما جاء في الأثر : " يشِيب المــرْء على ما شبّ عليه ، ويمــوت على ما شــاب عليه ، ويبعث على ما مـــــــات عليه .؟ " فخطّط لنفسك ما تريد أن تمـــــوت عليه ، وتبعث عليه .. واســـأل الله الثبـــات على الحـــقّ وحسن الختام .

وإنّها سنّة اجتماعيّة ، وقاعدة شرعيّة ، ومعلم من معـالم المسـئوليّة والجـزاء في الآخـرة .. تتبـدّى فيهـا العدالة الإلهيّة : {.. وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ } النحل ، {وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ } الزخرف .

فــإذا كنت تحــترم نفسك ، فخطّط لها كيف تموت ، واطلب لنفسك الميتة الطيّبة ، وإنّما تغلو الحيــاة إذا كـانت نفسك عليك عزيـــزة غالية .. وإنّما تـــرخص إذا كـــانت نفسك عليك رخيصةً تافهةً .. ففي الحديث الصــحيح : (.. كُــلُّ النَّاسِ يَغْــدُو ؛ فَبَــائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا) [1] .

ولقد وضع لك الإسلام مــوازين الصــلاح والنجـــــاة ، فــــإذا تحقّقت من نفسك أنّك تملكها بـإذن الله ، فـاعلم أنّ الآخـرة خـير لك من الأولى ، فلمـــاذا تـــرهب المـــوت وتخشاه .؟!

فعندما أحكم سلف هذه الأمّة أمــرهم ، وأيقنوا أنّ المــوت لابــدّ لهم منــه ، وأنّــه يأتيهم بغتة ، أخذوا أنفسهم بالحزم والجدّ ، واجتهـدوا أن يكونـوا على أحسن أحـوالهم من ســـلامة المنهج ، والعمـــل الصــــالح ، والإقبال على ربّهم ، ورغبــــوا إلى الله أن

---

[1] (?) ـ رواه مسلم برقم /223/ والترمذيّ في كتاب الدعوات عن رسول الله برقم/3439/ ، وابن ماجة وأحمد والدارميّ .

يموتوا أحسن ميتة ، وعندما جاءهم الموت كانوا له مترقّبين من قبل ، فقال قـائلهم : " حبيب جاء على فاقة .. " .

وقـال بلال : " واطربـاه ! غـداً ألقى الأحبّة محمّداً وصحبه .. " .

وقـال الخليفة الأوّل أبو بكر الصـدّيق لخالد : " يا خالد ! احـرصْ على المـوت توهب لك الحياة " .

وقـال الإمـام عليّ : " والله لابْنُ أبي طالب آنَسُ بـالمَوت من الطفل بثـدي أمّه " .

وقال الطرمّاح بن حكيم :

فيا رَبّ لا تجعَل وَفاتيَ إن أتَت على شَرجَعٍ يُعلَى بخُضرِ المَطارِفِ
ولكنْ شَهيداً ثاوياً في عِصَابةٍ يُصابُون في فَجّ مِنَ الأرضِ خَائِفِ
إذا فارقُوا دُنياهُمُ فارقُوا الأذَى وَصارُوا إلى مَوعُودِ مَافي الصحائفِ
فأُقتَلَ قَعصاً ثمّ يُرمَى بأعظُمي مُفرّقةً أوصالهُا في التنائِفِ

ويُصبحَ لحمي بطنَ نَسرٍ مَقِيلُه بجوِّ السمَاءِ في نُسُورٍ عَواكِفِ

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : " **بينَنا وبينهم يوْمُ الجنائز** " [1] ، وإنّها لكلمة عمِيقة الدلالة ، واسعة الأبعاد ، تـدلّ على ما قَبلها من حسن السريرة والسـيرة ، وحسن الخاتمة ، وتدلّ على ما بعدها منْ حُسْنِ العاقبة والمآل بإذنِ الله .

فعندما جانب أهل البدَع الحقّ ، ووقفـوا مع أهــواء نفوســهم ، ولم تتمحّض إرادتهم لنصرة الحقّ ، وابتغاء وجه الله ، كـان يـوْمُ الجنائز يومَ خـذلانهم ، وكان مـرآةً صـادقة لمـــــا هم عليه ، وما قــــدّموا من عمل ، فانعكست عليها الحقـائق بصـوْرةٍ عاجلة ، قَبل ذلك اليوم ، الـذي تُبلَى فيه السـرائرُ ، وتُجلى الضمَائر .. وكان موقف الأمّة كافّــةً أظهر شهادة على صـحّة المنهج ، وسـلامة

---

[1] ـ يعني أهل البدع .

القصد ، إذ إنّ هـــــذه الأمّة لا تجتمع على ضلالة بشهادة نبيّها .

* وفكّر يا أخي ! علام تَقـــــــدُم بعد الموت .؟

عَنْ أَبِي سَـعِيدٍ الخـدرِيّ قَـالَ : دَخَـلَ رَسُولُ اللهِ مُصَـلاّهُ فَـرَأَى نَاسـاً ، كَـأَنَّهُمْ يَكْتَشِـرُونَ ، قَـالَ : (أَمَا إِنَّكُمْ لَـوْ أَكْثَـرْتُمْ ذِكْـرَ هَــاذِمِ اللَّذَّاتِ لَشَـغَلَكُمْ عَمَّا أَرَى ، فَـأَكْثِرُوا مِنْ ذِكْـرِ هَـاذِمِ اللَّذَّاتِ المَـوْتِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى القَبْـرِ يَـوْمٌ إِلاّ تَكَلَّمَ فِيـهِ فَيَقُولُ : أَنَا بَيْتُ الغُرْبَةِ ، وَأَنَا بَيْتُ الوَحْـدَةِ ، وَأَنَا بَيْتُ التُّرَابِ ، وَأَنَا بَيْتُ الـدُّودِ ، فَـإِذَا دُفِنَ الْعَبْدُ المُؤْمِنُ ، قَالَ لَهُ القَبْرُ : مَرْحَباً وَأَهْلاً ، أَمَا إِنْ كُنْتَ لأَحَبَّ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْـرِي إِلَيَّ ، فَـإِذْ وُلِّيتُـكَ اليَـوْمَ ، وَصِـرْتَ إِلَيَّ ، فَسَتَرَى صَنِيعِيَ بِـكَ ، قَـالَ : فَيَتَّسِـعُ لَهُ مَدَّ بَصَـرِهِ ، وَيُفْتَحُ لَـهُ بَـابٌ إِلَى الجَنَّةِ ، وَإِذَا دُفِنَ العَبْدُ الفَاجِرُ ، أَوِ الكَافِرُ ، قَالَ لَهُ القَبْـرُ : لا مَرْحَبـاً وَلا أَهْلاً ، أَمَا إِنْ كُنْتَ لأَبْغَضَ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْـرِي إِلَيَّ ، فَـإِذْ

وُلِّيتُــكَ اليَــوْمَ ، وَصِــرْتَ إِلَيَّ ، فَسَــتَرَى صَنِيعِيَ بِكَ ، قَالَ : فَيَلْتَئِمُ عَلَيْهِ حَتَّى يَلْتَقِيَ عَلَيْــهِ ، وَتَخْتَلِــفَ أَضْــلاعُهُ ، قَــالَ : قَــالَ رَسُولُ اللـهِ بِأَصَـابِعِهِ فَأَدْخَـلَ بَعْضَـهَا فِي جَوْفِ بَعْضٍ ، قَالَ : وَيُقَيِّضُ اللهُ لَهُ سَبْعِينَ تِنِّيناً ، لَوْ أَنَّ وَاحِدًا مِنْهَا نَفَخَ فِي الأَرْضِ مَا أَنْبَتَتْ شَــيْئاً مَا بَقِيَتِ الــدُّنْيَا ، فَيَنْهَشْــنَهُ ، وَيَخْدِشْنَهُ ، حَتَّى يُفْضَى بِهِ إِلَى الحِسَــابِ ، قَــالَ : قَــالَ رَسُــولُ اللـهِ : (إِنَّمَا القَبْـرُ رَوْضَــةٌ مِنْ رِيَــاضِ الجَنَّةِ ، أَوْ حُفْــرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ) [1] .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِــكٍ أَنَّهُ حَــدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ قَالَ : (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْـمَعُ قَـرْعَ نِعَالِهِمْ ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُـولانِ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُـلِ لِمُحَمَّدٍ ؟ فَأَمَّا المُــؤْمِنُ فَيَقُــولُ : أَشْــهَدُ أَنَّهُ عَبْــدُ اللـــهِ وَرَسُـولُهُ ، فَيُقَـالُ لَـهُ : انْظُـرْ إِلَى مَقْعَـدِكَ

---

[1](?) ـ رواه الترمـذي في كتـاب صـفة القيامة بـرقم/2384/ وقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لا نَعْرِفُهُ إِلاّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ .

مِنْ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَداً مِنْ الجَنَّةِ ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعاً ، قَالَ قَتَادَةُ : وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَـهُ فِي قَبْـرِهِ ، ثُمَّ رَجَـعَ إِلَى حَـدِيثِ أَنَسٍ قَالَ : وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُـلِ ؟ فَيَقُـولُ : لا أَدْرِي ، كُنْتُ أَقُـــولُ مَا يَقُـــولُ النَّاسُ ، فَيُقَـــــالُ : لا دَرَيْتَ وَلا تَلَيْتَ ، وَيُضْـــــرَبُ بِمَطَـارِقَ مِنْ حَدِيـدٍ ضَـرْبَةً فَيَصِـيحُ صَـيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ) [1] .

وفي رواية لمسـلم زيـادة : (.. قَـالَ فَيُقَالُ لَـهُ انْظُـرْ إِلَى مَقْعَـدِكَ مِنْ النَّارِ قَـدْ أَبْـدَلَكَ اللـهُ بِـهِ مَقْعَـداً مِنْ الجَنَّةِ قَـالَ نَبِيُّ اللهِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعاً ، قَـالَ قَتَـادَةُ : وَذُكِـرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَـحُ لَـهُ فِي قَبْـرِهِ سَـبْعُونَ ذِرَاعاً ، وَيُمْلأُ عَلَيْهِ خَضِراً إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) [2] .

وجـــــاء في رواية الإمـــــام أحمد في المسـند بـرقم /11823/ :ـ ثُمَّ يُضْـرَبُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِـيحُ

---

[1] (?) ـ رواه البخاريّ في كتاب الجنائز برقم /1285/ .

[2] (?) ـ في كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها برقم /5115/ .

صَـيْحَةً فَيَسْـمَعُهَا مَنْ يَلِيــهِ غَيْـرُ الثَّقَلَيْنِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلاعُهُ) .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِــكٍ قَــالَ : إِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَخَلَ نَخْلاً لِبَنِي النَّجَّارِ ، فَسَمِعَ صَـوْتا فَفَـزِعَ فَقَـالَ : مَنْ أَصْـحَابُ هَـذِهِ الْقُبُـورِ ؟ قَــالُوا : يَـا رَسُـولَ اللــهِ نَـاسٌ مَــاتُوا فِي الجَاهِلِيَّةِ ، فَقَالَ : تَعَوَّذُوا بِاللــهِ مِنْ عَـذَابِ النَّارِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ ، قَالُوا : وَمِمَّ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : إِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَـكٌ ، فَيَقُـولُ لَـهُ : مَـا كُنْتَ تَعْبُدُ ؟ فَإِنْ اللهُ هَدَاهُ قَالَ : كُنْتُ أَعْبُدُ اللــهَ ، فَيُقَالُ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُــلِ ؟ فَيَقُـولُ : هُـوَ عَبْـدُ اللــهِ وَرَسُـولُهُ ، فَمَـا يُسْأَلُ عَنْ شَـيْءٍ غَيْرِهَـا ، فَيُنْطَلَـقُ بِـهِ إِلَى بَيْتٍ كَـانَ لَـهُ فِي النَّارِ ، فَيُقَـالُ لَـهُ : هَـذَا بَيْتُكَ كَانَ لَكَ فِي النَّارِ ، وَلَكِنَّ اللهَ عَصَمَكَ وَرَحِمَكَ ، فَأَبْدَلَكَ بِهِ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ ، فَيَقُولُ : دَعُونِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأُبَشِّـرَ أَهْلِي ، فَيُقَـالُ

لَهُ : اسْكُنْ ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ ، فَيَنْتَهِرُهُ ، فَيَقُولُ لَهُ : مَا كُنْتَ تَعْبُدُ ؟ فَيَقُولُ : لا أَدْرِي ، فَيُقَالُ لَهُ : لا دَرَيْتَ وَلا تَلَيْتَ ، فَيُقَالُ لَهُ : فَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَيَقُولُ : كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ ، فَيَضْرِبُهُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا الخَلْقُ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ) [1] .

فخطّط لنفسك كيف تموت .! ولعلّك تقول لي : وهل يملك الإنسان أن يخطّط لنفس كيف تموت .؟ فأقول لك : نعم ، يملك ذلك بالنيّة الصادقة ، والعزيمة المخلصة ، والتذلّل لله تعالى والضراعة ، مع العمل الذي يصدّق ذلك كلّه ، ألم يقل الله تعالى : {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٠٢ } آل عمران .

ثمّ ألم تسمع بقول النبيّ للأعرابيّ الذي قال له عندما أعطاه حظّه من

---

[1] ـ رواه أبو داود في كتاب السنة برقم /4126/ـ زَادَ فِي رواية : وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُ .

المغنم ، فقال له : **مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُــكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا ـ وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ ــ بِسَـهْمٍ ، فَـأَمُوتَ فَأَدْخُـلَ الجَنَّةَ ، فَقَـالَ : إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ ، فَلَبِثُــوا قَلِيلاً ، ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَـالِ الْعَـدُوِّ ، فَـأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ يُحْمَلُ ، قَـدْ أَصَـابَهُ سَـهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ : أَهُوَ هُوَ ؟ قَـالُوا : نَعَمْ ، قَـالَ : صَـدَقَ اللــهَ فَصَـدَقَهُ ، ثُمَّ كَفَّنَـهُ النَّبِيُّ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ ، ثُمَّ قَدَّمَــهُ فَصَــلَّى عَلَيْــهِ ، فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلاتِهِ :**

(**اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ ، خَرَجَ مُهَاجِراً فِي سَــبِيلِكَ ، فَقُتِــلَ شَــهِيداً ، أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ**) [1] .

فطوبى له وهنيئاً بهذه الشهادة النبويّة الكريمة على الله .!

ثمّ ألم يقل النبيّ : (**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِـدْقٍ ، بَلَّغَـهُ اللـهُ مَنَـازِلَ**

1(?) ـ رواه النسائيّ في كتاب الجنائز برقم /1927/ .

الشُّـهَدَاءِ ، وَإِنْ مَـاتَ عَلَى فِرَاشِـهِ) [2] .

فإن لم تعتـبر بكـلّ هـذا فما تنفع معك المواعظ والعـبر ، حتّى تكـونَ عـبرة لمن اعتبر ..

فعجّل أُخَيّ بالتوبة ولا تسوّف .. وبــادر إلى الطاعة ولا تتلكّأْ .. وسارع إلى مغفرة من ربّك وجنّة عرضها السموات والأرض ، أعدّت للمتّقين .. وابذل من مالك ما يكون ســتراً لك من النــار ، وقــدّم من العمل الصالح ما يكون شـفيعك ، ويثقّل موازينك : {وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ۝٩} الأعراف .

(?)[2] ـ رواه مسـلم في كتـاب الإمـارة عن سَـهْلِ بْنِ حُنَيْـفٍ برقم /3532/ والترمذيّ وأبو داود وابن ماجة .

وختام الختام

اللهُمّ ارحمنا إذا عَـرِقَ الجَبِين ، وكَثُـرَ الأنِين ، ويَئِسَ منّا الطـــبيبُ ، وبكَى عَلينا الحَبيب .

اللهُمّ ارحمنا إذا وارانا الـــــــترابُ ، ووَدّعَنا الأحبابُ ، وفَارقَنا النعِيمُ ، وانقَطعَ النسِيم .

اللهُمّ ارحمنا إذا بَلِي جِسـمُنا ، ونُسِـي اسمُنا ، وانمحَى ذِكرُنا ، واندرَسَ قبرُنا ..

اللهُمّ ارحمنا يـــومَ تُبلَى الســـرائِرُ ، وتُبدَى الضمائِرُ وتُنشَرُ الدواوين ، وتُنصَبُ الموازين .

اللهُمّ برحمتِك نَســــــتَعِينُ يا أرحَمَ الراحمن .

اللهُمّ رحمتَك نَرجُو ، فلا تكِلنا إلى أنفسِنا ، ولا إلى أحـدٍ مِن خلقِك ، طرفـةَ عَينٍ ولا أقلَّ مِن ذلِـكَ ، وأصـلِح لنا شَـأنَنا

كلَّه بفضـلِكَ ، لا إلـهَ إلاّ أنتَ ، وأصـلِحنا ظاهِراً وباطِناً يا مُصلِحَ الصالحين .

وأختم الحديث بما بدأت : " **اللهمّ اجعل الموت خيرَ غائب ننتظره ، واجعل القبرَ خير بيتٍ نعمرُه ، واجعل ما بعده خيراً لنا منه ، برحمتك يا أرحم الراحمين** " .

" اللهُمَّ اجعَل خَيرَ عُمُري آخِرَه ، وخَيرَ عَمَلِي خَواتمَه ، وخَيرَ أيّامِي يَومَ ألقَاكَ وأنتَ رَاضٍ عَنّي " .

وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ونبيّه سيّدنا محمّد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، والحمد لله ربّ العالمين .

5 * كان يلعب بين أترابه ..
6 * أمام خزانة أمواله ..
7 * نام ولم يستيقظ ..
8 * مزرعة لا مثيل لها في سوريّة كلّها ..!
9 * المتنافسات في الطعام ..
10 * كان يسمع الهجاء من خصمه ..!
11 * اجتمعوا على الفساد والخمر والنساء ..
12 * " ما بدّي أموت ! ما بدّي أموت ! "
13 * لاهث بسيّارته .. يمشي بها مرحاً ..
14 * راقصون لاهون .. والموت يرقبهم ..
15 * المغنـون المـاجنون .. ثمّ جـاءتهم شجرة الموت تسعى ..
16 * والله لا أزال أغنّي حتّى ينقطع هـذا النفس .!
17 * الهاتف الجوّال على أذنه ..
18 * كـان عونـاً للظـالم ، وسـيفاً على المظلوم ..
19 * باعت شرفها بكلمات أو دريهمات ..
20 * ملأ الأرض إثماً وظلماً ، وبغياً وفساداً ..
21 * بينما كان يمكر بأهل الحقّ ، ويخطّط ويدبّر ..
22 * مات والمصحف بين يديه ..
23 * هكذا مات جدّي .!
24 * كيف فارق شيخنا الحياة .؟
25 * مات ساجداً يدعو ربّه ..
26 * بعد أيّام من توبته ..
27 * مات محرماً ملبّياً ..
28 * في طريقه إلى الحرم ..
29 * في طريقه إلى المنبر ..

* صدر للمؤلّف *

1 ـ ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربويّة وآثاره .

2 ـ وجوب وحدة المسلمين .

3 ـ رسالة المعلّم وآداب العالم والمتعلّم .

4 ـ اعرف نبيّك محمّداً ﷺ يا بنيّ .!

5 ـ ومضات من هدي النبيّ الخاتم ﷺ .

6 ـ البيّنات في تفسير سورة الحجرات .

7 ـ المنهج القويم للداعية الحكيم .

8 ـ مشاهد الأتقياء في الصبر على الابتلاء .

9 ـ رسالتان في التربية .

10 ـ صور وعبر من لطائف القدر . المجموعة الأولى .

11 ـ صور وعبر من عجائب القـدر . المجموعة الثانية .

12 ـ حديث القلب .

13 ـ النصائح الذهبيّة لتربية الأولاد ورعايتهم .

14 ـ قبسات من نور النبوّة لصاحبي الفضيلة : الشيخ أحمد عـزّ الـدين البيـانوني ، والشـيخ عبد الفتّـاح أبو غـــــدّة رحمهما الله تعـــــالى . بعناية د. عبد المجيد

البيانوني ، وفي ختامه رسـالة : " ومضـات من هـدي النبيّ الخاتم " .

15 ـ تذكرة العابد بحقوق المساجد .

16 ـ أساليب تربويّة ومفاهيم دعويّة من حيـاة الشـيخ أحمد عزّ الدين البيانوني .

17ـ ركـائز دعويّة من هـدي النـبيّ في العلاقـات الاجتماعيّة .

18 ـ القول المبين في تفسير سورة : " يس " .

19 ـ لمحات من حياة الشيخ أحمد عزّ الدين البيانوني وتعريف بمؤلّفاته .

20 ـ مواقف تربويّة من هدي النبيّ مع الأطفال .

21 ـ خمس عشرة مهارة تجعلك مربّياً متميّزاً .

22 ـ خطوة خطوة نحو التربية الناجحة .

23 ـ أربع رسائل في التربية .

24 ـ لئلاّ تضيع الطفولة : ثلاثـون سـبباً تمنعك من الطلاق .!

25 ـ الغائب المنتظر

26 ـ ملامح السعادة في تربية الطفل على العبادة

27 ـ معالم تربويّة

28 ـ حديث أبي دردرة !

29 ـ أيّها الأمير رسَالتَان فِي النُّصح وَالرِّعَايَة

30 ـ إنّها الأنثَى .! رؤى نقديّة حول دعوى التمييز ضدّ المرأة

31 ـ كيف تنعم أسرنا بالأمن .؟